أزهر

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

نشرة شهرية مجانية تصدر عن أزهر البقاع
ذو الحجة ١٤٣٩ هجري | أيلول ٢٠١٧ ميلادي

العدد
التاسع والسبعون

أنقلوا لبنان إلى بر الأمان !



المرجعيات السنية في لبنان بين الثابت و المتحول

الطائفية السياسية في لبنان

أزاهر

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و اما بعد ،

لا يخفى على أحد أن جعل لبنان رهينة التوازنات السياسية الإقليمية والدولية، سيؤدي إلى نشوء الخلافات في المواقف والرؤى بين الأحزاب الممثلة للشعب اللبناني، و يجعل على المحك التسوية السياسية التي أدت الى تشكيل وزارة جديدة أريد لها أن تحفظ مصلحة لبنان، لكن الممارسة الواقعية أظهرت أن التسوية لم تؤت أكلها، نتيجة خروج بعض الفرقاء الحكوميين على المباديء الأساسية للتسوية، وهذا ما يستدعى التوقف عند المستجدات، وضرورة التباحث بشأن ما آلت إليه الأمور، وكيفية العودة إلى الإلتزام بوحدة الصف الوطني، والتمسك الفعلي بمبدأ (النأي بالنفس) من أجل مصلحة لبنان أولاً، وثانياً الحفاظ على العلاقات الحسنة بالوطن العربي، الذي نحن جزء لا يتجزأ منه، بموجب الدستوراللبناني، ولذا نأمل من المسؤلين العمل على تحصين لبنان بوجه الطامعين، و هذا ما نرجوه من رئيس جمهوريتنا العماد ميشال عون، المعروف بحكمته وحنكته السياسية، و كذلك من رئيس حكومتنا الشيخ سعد الحريري، الذي يتحمل أعباء وهموم كل الوطن، و ذلك أملا بالوصول إلى الإستقرار و الأمان بمعاونة المخلصين و الوطنيين، و في المقدمة منهم دار الفتوى ومفتي الجمهورية الدكتور الشيخ عبد اللطيف دريان، و كل دور الفتوى في عموم لبنان، لذلك جاء هذا العدد من مجلة أزاهر بعنوان (**أنقلوا لبنان إلى بر الأمان**)، و لنعمل جميعا على تلاحم شعبنا قولاً وعملاً، من أجل جعل لبنان بلداً حضارياً بتقدمه وتطوره، و قادراً على مواجهة كل التحديات و الصعاب، و نترك بين أيديكم الكريمة هذا العدد من مجلتنا أزاهر، المتميزة من مضامين مقالاتها الدينية و الفكرية والإجتماعية وغيرها من المقالات، التي تحررها نخبة من الأساتذة و الكتاب من لبنان و الوطن العربي، و الذين عقدوا العزم على المساهمة في إغناء مجلتنا خدمة للعلم و اشاعة للمعرفة الهادفة و الكلمة الحرة، التي نحن بأشد الحاجة لها في هذه الظروف التي نمر بها ، و أخيرا و ليس آخراً نترككم بحفظ الله و الى عدد جديد و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

أسرة التحرير: د. رعد مقبل العبيدي - الشيخ مروان الميس - الشيخ نادر جميل جمعة

محتويات العدد:

القول الفصل - مهلاً يا عرب !	٢	من روائع الشعر	٣٩
أخبار الأزهر	٤	شيء من التاريخ - معركة موهاكش	٤١
المرجعيات السنية في لبنان بين الثابت والمتحول	٦	البعد الأخلاقي في نظرة السنة للشعر	٤٣
كيفية إعداد الداعية	١٠	أثر شاعرات الأندلس بالشعر الإسباني والآداب الأوروبية	٤٦
مخاطر اهدار حجية الإجماع	١٤	وجدانيات	٤٩
دروس من حياة داود عليه الصلاة و السلام	١٦	صحة - الوقاية من مرض الايدز	٥٠
شخصية إسلامية	١٨	كن ذاتك	٥٢
في فقه مقاومة الاستبداد	٢٠	الفساد الإداري.. مفهومه ومظاهره وأسبابه	٥٣
الخلل في تناول مفهوم العذر بالجهل	٢٢	كي تنجح إداراتنا	٥٨
فضاءات الشريعة الإسلامية	٢٣	الطائفية السياسية في لبنان	٦٠
مشكلة "فهم" النص القرآني في الدراسات الاستشراقية	٢٤	أمهات القيم السياسية في القرآن والسنة	٦٦
اعرف عدوك في الفكر اليهودي	٢٨	الأمين إذا تكلم	٦٨
عرض لكتاب الدونمة بين اليهودية والاسلام	٣٠	الذاكرة الجمعية ... الحارس على السلم الأهلي	٧٠
		نترككم بحفظ الله سبحان الله !!	٧٢

مجلة شهرية مجانية تصدر عن أزهر البقاع، نهاية كل شهر هجري، وهي مجلة شاملة ومنوعة، تُعنى بالقضايا الدينية والثقافية والاجتماعية، ويساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وبالإستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها، أردنا أن تكون مجلة أزاهر «**مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم**» من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري لدى القارئ الكريم، آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي والله من وراء القصد.

للإتصال : ٠٨٦٢٢٧٢٧ | ٧٠١٤١٣٦٠ | marwanmais38@yahoo.com | www.azahermag.com

Designed by Mahmoud Hamed | 78865619

القول الفصل

مهلاً يا عرب !

كتابة: سماحة مفتي زحلة والبقاع
الشيخ خليل الميس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي المصطفى رسول الله محمد وعلى آله وصحبه... وأما بعد ...

إن الإختلاف عن الرأي أمر موجود ولن يرتفع إلى قيام الساعة . وإن هذا الجيل من الأمة العربية وعلى إتساع بلادها إنما يستشعر في هذه الأيام نوعاً من التمايز والإختلاف بين أنظمتهم والمواطنين أيا كانوا وأينما وجدوا... وهذا الإختلاف قد يصل إلى التصادم بين الحاكم وشعبه، وهذا ما حدث تماماً في سورية الشقيقة، وتصادم وإستئصال بوجه أو آخر في العراق... والذي كان مسرحاً للعراك بين النظام الحاكم والشعب الذي كاد يستأصل من مدنه وقراه تحت عنوان محاربة الإرهاب... وهذه القاعدة المعكوسة تماماً والمتغيرة في صورة ووجوه عدة.

وإن أثر نسبة نزوح الشعوب بسبب تصرفات الأنظمة إنما كان ويكون على الساحة العربية وبخاصة في عواصم الخلافة العربية الإسلامية في كل من دمشق عاصمة الخلافة الأموية العربية بإمتياز... وبغداد عاصمة الخلافة العباسية بامتياز أيضاً، وحفظ الله المدينة المنورة دار هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن بعده مقر الخلفاء الراشدين الأربعة... أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وإن نالت حظها من الألم على يدي الحجاج، حيث إجتاحها في وقت من الأوقات، وقيل إنه لم يسلم من سيفه حتى الأجنة في بطون الأمهات.

وبعد هذه الجولة التاريخية والجغرافية المؤلمة والمحزنة في أوان... يصل بنا القول إلى ما آل الأمر إليه بين عواصم دول الخليج العربي الإسلامي في هذه الأيام، حيث كادت أن تجتمع الكلمة على إنزال أشد العقوبات على دولة خليجية شقيقة معلومة... وفي وقت تحتل فيه جيوش العدو الصهيوني أولى القبلتين وثالث الحرمين، عنيت به المسجد الأقصى، حيث لأول مرة من خمسين عاماً منع الإحتلال المقدسيين من إقامة صلاة الجمعة في المسجد الأقصى معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونعود إلى القول أننا نبرأ إلى الله تعالى من هذا الخلاف المتعاظم والمتصاعد يوماً بعد يوم، بين دول الخليج وقطر بغض النظرعن الأسباب، التي يتذرع بها الأشقاء العرب على قطر شقيق، وهي المناسبة التي وجد فيها النظام المصري فرصة للخروج من العزلة العربية، ليصبح طرفاً في هذا النزاع المؤلم... ومن العجب مسارعة بعض الدول الأجنبية، من اوروبية أو أمريكية إلى التخفيف في زعمها من حدة هذا النزاع، إنضماماً إلى دولة الكويت الشقيق، وهو البلد الذي سارع ومنذ اللحظة الأولى لإصلاح ذات البين، والعمل على فض الخلافات الداخلية بين أطراف النزاع... وعلى أي حال بعدما إستجد في القدس الشريف هذا البلاء للنيل من قدسية هذه البقعة المباركة، وهي معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينبغي أن نسارع إلى طي جميع الملفات التي هي مثار الخلاف بين الأشقاء العرب، ونتوجه جميعاً وكتلة واحدة إلى تحرير هذه البقعة المباركة من غطرسة العدو الصهيوني، وربما تكون هذه الفرصة مناسبة لجمع الصف العربي والإسلامي لتطهير هذه البقعة المباركة، وإمتثالاً لقوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

أولسنا ممن تشملهم العناية الإلهية ونكون حول المسجد الأقصى، ذلك الحرم الذي حدد بنص الأية الكريمة بقوله باركنا حوله، نعم نحن ممن شرفنا الله تعالى لنكون في البقعة المباركة... والمضافة إلى الحرم المكي، والحرم المدني، والمطلوب منا ألاّ نتجاوز الميقات بدون إحرام وألاّ نتحلل من إحرامنا حتى نطهر المسجد الأقصى بما حلّ فيه من البلاء، والذي قال فيه سبحانه وتعالى:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

وقوله تعالى :

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾

فيا أبناء أمتي العربية والأمة الإسلامية قاطبة ألا تصغون إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»

وهل هناك ظلم أشد ضراوة من هذا الكيد والكبرياء والإستعلاء والإستقواء الذي يقوم به العدو الصهيوني... نعم فلنطوي جميع الملفات فيما بيننا ولنرفع الصوت عالياً لبيك لبيك يا فلسطين...لبيك أيها المسجد الأقصى... ولبيكم يا إخواننا الفلسطينيين، المحيا محياكم ، والممات مماتكم ، والله من وراء القصد.



١٠ أيلول ٢٠١٧م



الملتقى الثقافـي للحـوار اللبناني - العالمي وتجمع البيوتات الثقافية في لبنان برئاسة الشـاعر الدكتور جوزيف طربيه، أقـام ببلدة عاليه حفلاً لتكريم عدد من الشخصيات الدينية والثقافية والفكرية والإجتماعية، و في بداية الحفل عرض الدكتور جورج طربيه السيرة الذاتية لأعمال المكرمين وانتاجهم، ثم ألقى سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس كلمة بإسم المحتفى بهم، حيث عبرعن سروره وفرحته بهذه الدعوة، وأشاد بالدور الهام الذي يقوم به الملتقى لتعزيز وترسيخ دور الثقافة في وطننا لبنان، وبعدها تم توزيع الدروع التذكارية على الشخصيات المكرمة و التقاط الصورة التذكارية أيضا.

١١ أيلول ٢٠١٧م



نظم مركز البحث العلمي في أزهر البقاع أمسية شعرية بدأت بتلاوة عطرة من آيات القرآن الكريم تلاها الشيخ عاصم الجراح، وبعدها قدم الدكتور نادر جمعة سماحة مفتي زحلة والبقاع، الذي ألقى كلمة رحب فيها بالشاعر الدكتور جوزيف طربيه الذي شكره وأثنى عليه وأشاد بأدائه الشعري وعمق الصورة الشعرية لديه، كما أعرب عن فرحه بمشاركة الشاعر الدكتور والمؤلف رشيد معطي ونوه بغنى نتاجه والدور الريادي الذي يقوم به في لندن، بعدها ألقى الشاعران بعضا من قصائدهما، وفي الختام قدمت للشاعرين الدروع التكريمية، ثم جرى التقاط صور تذكارية للشاعرين مع سماحة المفتي الشيخ خليل الميس و بعض الحضور.

١٩ آب ٢٠١٧م

إلتقى خريجو أزهر البقاع سماحة المفتي الشيخ خليل الميس في أزهر البقاع، وهو اللقاء السنوي للتداول في أوضاع الخريجين والإستماع لنصائح وتوجيهات سماحته في المواضيع التي يتم طرحها اثناء اللقاء.

٢٠ آب ٢٠١٧م

وبرعاية وحضور سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس نظم دار الأرقم لحفظ القرآن الكريم في بلدة مجدل عنجر حفل تخريج مسابقة طيور الجنة، وبعد انتهاء المسابقة تم توزيع الجوائز على المشاركين فيها.

١٨ ت٢ ٢٠١٧م

أقام مركز البحث العلمي في أزهر البقاع ندوة علمية بعنوان الإسلام وتحديات الحداثة وآفاق التطوير، القى فيها الدكتور رضوان السيد محاضرة بعنوان المؤسسة الدينية الرسمية وعمليات الإصلاح والتحديث، و شارك في الندوة الدكتور محمد خير فرج بالقاء محاضرة عنوانها التجديد مفهومه وضوابطه ومجالاته، أما الدكتور سعد كموني فقد القى محاضرة بعنوان الإستجابة الحضارية ورهانات التجديد، هذا و اشترك بعض الحاضرين في مناقشة مفتوحة مع السادة المحاضرين اغنت ما تم تقديمه من معلومات اثناء المحاضرات.





٢٧ ت١ ٢٠١٧م



وبرعاية سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس ممثلاً بالشيخ عاصم الجراح، وبحضور رئيس دائرة الأوقاف الشيخ محمد عبد الرحمن والشيخ جهاد الزعبي ممثلا عن جمعية إشراق النور، تم إفتتاح مسجد الخليفة الوليد بن عبد الملك في منطقة شمسين – عنجر، وقد حضر الحفل لفيف من العلماء ورؤساء البلديات ومخاتير وفعاليات المنطقة، و من الجدير بالذكر أن جمعية اشراق النور ساهمت في تمويل وبناء المسجد، علماً أن أرض المسجد هدية قدمها الأهالي الكرام في شمس - عنجر.





المرجعيات السنية في لبنان بين الثابت و المتحول



بقلم: الدكتور نادر جمعة
أستاذ جامعي من لبنان

تمثل المسلمين في لبنان قوى ثلاث تجسد المرجعية الدينية و السياسية و الاجتماعية لجماعة المسلمين، و هي: المؤسسة الدينية الرسمية (دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية) و رئاسة مجلس الوزراء (رئيس الحكومة اللبنانية) و القوى و الحركات السياسية الوطنية و الإسلامية. و السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: من الذي أعطى لهذه القوى مجتمعة و متفرقة حق تمثيل المسلمين؟ و ما هي الآليات و الوسائل المعتمدة في اختيار الممثلين الفاعلين ضمن هذه الأطر التنظيمية سالفة الذكر؟ و هل القرارات التي تصدرها و الممارسات التي تقوم بها ملزمة للجمهور الأعظم من المسلمين في لبنان؟ و كيف و متى يمكن الخروج على هذه المجالس التمثيلية؟ و هل يحق لأي مواطن مسلم في لبنان امتهان الفعل الديني و السياسي و الاجتماعي الذي تقوم به أم لا؟ و ما هي حدود التفويض الممنوح لهذه القوى كي تنوب عن الأمة في تصريف الأمور و البت في القضايا المصيرية؟ و هل هي ملزمة بإطلاع المواطنين على كل كبيرة و صغيرة أم لا؟ و ما هي الثوابت و المتغيرات التي تحكم مسار و مصير هذه الهيئات التنظيمية التمثيلية؟ و من هو الحكم الصالح للبت في النزاعات التي تنشأ فيما بينها أو مع المواطنين؟ و بأي معنى يمكننا فهم و تفهم جدلية العلاقة بين الناس و ممثليهم على صعيدي التكتيك و الاستراتيجيا؟ وهل يجوز لهذه القوى أن تغامر بحقوق الطائفة على صعيدي الأمن السياسي-الاقتصادي و الاجتماعي-الديني؟ ثم إلى أي مدى يمكن اعتبار التسويات السياسية الكفيلة بحماية الجماعة و الوطن تنازلاً و تخلياً عن مبادىء معينة؟ أم أن الواقعية السياسية و المتغيرات الإقليمية و الدولية تفرض على هذه القوى الموازنة بين النظرية(المثال) و الواقع المأزوم من أجل الحفاظ على المكتسبات و العبور إلى الدولة الآمنة و المستقرة؟ و هذا غيض من فيض الأسئلة التي تطرح في هذا الشأن و في مقالنا هذا نود الاقتصارعلى بيان أحقية اجتهاد المرجعية الدينية و القيادات السياسية في اتخاذ قرارات معينة، و ضرورة دعمها من قبل عموم المسلمين و المواطنين اللبنانيين، مستندين إلى شواهد من تاريخنا العربي و الإسلامي فنقول:

دعا الإسلام إلى المحافظة على كليات خمس، و هي: حفظ الدين، و حفظ النفس، و حفظ العقل، و حفظ النسل، و حفظ المال؛ وهذه المقاصد الخمسة عليها مدار الإسلام، و أساسها كما هو مقرر عند جمهور العلماء حفظ الدين على أصوله المقررة و قواعده الثابتة المعتبرة، لذلك قدم حفظ الدين على باقي الكليات بحسب الترتيب الأصولي المعروف، إلا أن سلطان العلماء العز بن عبد السلام قرر أنه في بعض الأحيان يكون حفظ النفس أولى و أهم من حفظ الدين، حيث يقول:"إذا كان المسلمون من قلة العدد و العدة بحيث لا يستطيعون إنزال النكاية بعدوهم وجب الانهزام"، و في ذلك تمكين للدين بوساطة حفظ النفس الذي يعتبر مقدمة لحفظ الدين في الآجل، لذلك أجاز العز بن عبد السلام تقديم حفظ النفس على حفظ الدين، و له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أثناء تفاوضه مع سهيل بن عمرو موفد المكيين آنذاك وافق على أن يحذف كلمة "رسول الله" و أن يضع مكانها "محمد بن عبد الله"، بعد أن قال له سهيل بن عمرو:" لو نعلم أنك رسول الله لما قاتلناك"، ثم إن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب و في أكثر من مناسبة و

نتيجة من تغير الظروف رأى أن نصاً قرآنياً معيناً ربما لا تقتضي مصلحة المسلمين تطبيقه كما طبق في السابق وقت نزوله، مثل اجتهاده بعدم ضرورة دفع سهم المؤلفة قلوبهم لعدم حاجة المسلمين لهؤلاء، و لأن إسلام المرء لنفسه، كذلك اجتهاده في عدم قسمة أرض السواد في العراق بعد انتصار المسلمين و هزيمة الفرس المجوس، و جعلها وقفاً لتكون منفعتها دائمة و مستمرة لهم على مر الأجيال إلى غير ذلك من الأدلة. التي وافقه عليها الصحابة رضي الله عليهم، و عملوا بها، فكان إجماعاً و تشريعاً للأمة أغنى الفقه الإسلامي بجانب الكتاب و السنة، و مما لايخفى على أحد أن الخليفة عمر رضي الله عنه كان حينها بمثابة المرجعية الدينية و السياسية أيضاً، و كل ذلك اعتمده المسلمون، لأن الشريعة كما ذكر ابن قيم الجوزية تقوم على حفظ مصالح الناس في عاجل أمرهم و آجله،

و قياساً على ذلك يصح القول، إن الحراك السياسي-الاجتماعي الناظم لعمل القوى الممثلة للمسلمين السنة في لبنان داخل ضمن دائرة الاجتهاد البشري المصلحي، و هو قابل للتغير و التبدل على قاعدة:"حفظ النفس" التي دعا إليها القرآن الكريم بقوله تعالى:(و من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)، و لا يخفى على المراقب الموضوعي و المنصف أن منطقتنا العربية و منذ عشر سنوات أو يزيد تتعرض لتهديد بنيوي على مستوى الفكر و السلطة و المجتمع، جعل الدولة العربية الحديثة كأداة ناظمة للمجتمع سلطوياً و اقتصادياً و ثقافياً في عين العاصفة التي بدأت تجتاح كل شيء من البشر إلى الحجر، مما يفرض علينا جميعاً المحافظة على العمران البشري و البناء الثقافي الحضاري الذي يمثل رمز هويتنا و أصالتنا وحضورنا عبر التأريخ.

ثم إن الشورى كما هو معلوم ليست ملزمة للإمام كما هو مقرر لدى الفقهاء، فللإمام بعد شورى الناس العمل برأيه الخاص من دون أن ينزل عند رأي أصحاب الشورى، قال تعالى:
(و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله)؛ و لما كانت السياسة هي العمل في حدود الممكن، و حيث إن المرجعيات الدينية و السياسية للمسلمين في لبنان تمر في ظروف صعبة جداً، و تمارس عليها ضغوط هائلة من الداخل و الخارج، فإنه يتوجب على الأمة الوقوف إلى جانب ممثليها و النصح لهم و الأخذ على أيديهم، لأن أعداءنا يحاولون الفصل بين القيادة و الجماهير من أجل الاستفراد بالقيادة أولاً، و الانقضاض على الجماهير تالياً، و قديماً قال الشاعر:

تأبى العصي إن اجتمعن تفرقاً
و إذا افترقن كسرت آحادا

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما كان يخفي تحركاته السياسية و العسكرية عن أصحابه رضوان الله عليهم، و ذلك من باب الحيطة والحذر و الحفاظ على سرية المعلومات كي لا تقع عليها مسامع أعدائه مما يسبب فشل مخططاته عليه الصلاة و السلام.

و الوحدة بين المرجعية و الأمة هي المحور الأساس الذي يقوم عليه فكر أهل السنة و الجماعة، و الدليل على ذلك أنه و في كل مرة تعرضت فيها وحدة الأمة للخطر و الزوال كانت عناصر و مكونات المجتمع المسلم تتضافر من أجل الحفاظ على وحدة الأمة و الجماعة؛ فقد ظهر مصطلح الجماعية كما تروي كتب التاريخ بعد سقيفة بني ساعدة و ما جرى فيها ربما كاد يفتح الباب لفرقة المسلمين آنذاك على خلفية اختيار من يتولى أمورهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى أن اتفقت كلمتهم على أبي

بكر الصديق رضي الله عنه، و بعد صفين و ما نجم عنها من اقتتال داخلي هز سكينة الخلافة الراشدة وقتذاك و ما تبعها من مقتل الإمام علي و تولي الإمام الحسن الخلافة لمدة ستة أشهر، إلا أن عدم استتباب الحكم بينه و بين معاوية، دفع الإمام الحسن إلى التنازل عن الخلافة إلى معاوية عام ٤١ هـ الذي عرف بعام الجماعة، إلى أن كانت العقيدة القادرية التي جمع الخليفة العباسي القادر بالله المسلمين عليها محققاً بذلك الوحدة السياسية و العقيدية للمسلمين فيما عرف تاريخياً و إلى يومنا هذا بمصطلح "أهل السنة و الجماعة"، وبذلك توحدت الأمة مجدداً خلف القيادة السياسية للمسلمين (الخلافة العباسية) و المرجعية العقيدية التشريعية (الكتاب و السنة)، و عليه فإن رمزية مفهوم "أهل السنة و الجماعة" تكمن في الولاء للدين و الوفاء و الانتماء للقيادة السياسية (قديماً و حديثاً).

من هنا فإن هذه المرجعيات الثلاث المذكورة أعلاه والرسمية منها على وجه الخصوص مفوضة في اتخاذ القرارات و التدابير التنظيمية التي تراها باجتهادها صحيحة، و ذلك بمقتضى الوكالة الممنوحة لها من قبل الجماعة (المواطنون)، و هي وكالة عامة لا تنزع عنها إلا على وفق أصول و آليات و ضوابط نص عليها الفقهاء كما هو الحال في الدستور و القانون.

ونحن اليوم إذا لم نحسن الوحدة و التوحد خلف دار الفتوى و هي المرجعية الدينية لنا، و خلف رئاسة الحكومة الممثل الرسمي للمسلمين سياسياً وسلطوياً فلن تقوم لنا قائمة، و لن نكون سنيين حقيقيين،حتى و لو اختلفنا مع هذه المرجعيات في بعض القراءات و الاجتهادات لواقعنا السياسي-الاجتماعي. فالصحابة رضوان الله عليهم تعددت آراؤهم الفقهية و السياسية، و لم يكونوا كتلة فكرية واحدة، و التنافس و الاختلاف وقع بينهم، لكن على قاعدة احترام الشرعية الشعبية الممنوحة للحاكم المسلم و هي تشبه المشروعية القانونية المستمدة من القانون و الدستور في زمننا الحاضر.

ولقد أثبتت المؤسستان الرسميتان الدينية و السياسية للمسلمين في تاريخ لبنان المعاصر مستوى متقدماً من الجدارة و الكفاءة في إدارة الشأن العام، وقدمتا و لا تزالان الشهداء من أجل الحفاظ على هوية لبنان و عروبته، و من أجل الدفاع عن حقوق المسلمين و مكتسباتهم، و قبلت بالتسويات و لم تتنازل عن الحقوق دفاعاً عن الحقيقة. فمسيرة الشهادة ابتدأت مع الرئيس رياض الصلح مروراً بالرئيس رشيد كرامي و المفتي حسن خالد و العلامة صبحي الصالح و الرئيس رفيق الحريري و غيرهم من الشهداء الأبرار على درب الحرية والكرامة.

فيا أيها المسلمون اللبنانيون إن المؤسسات الثلاث المذكورة أعلاه تقوى بكم فلا تضعفوها، و لا تكونوا عوناً لجلاديكم و للشيطان على أنفسكم؛ و الله المستعان و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.



والذين هم على الزكاة فاعلون

دار الفتوى

صندوق الزكاة - البقاع

زكاة

أموالك .....

استثمار لآخرتك



للإستعلام: 08622662

كيفيــة إعــداد الداعيــة



الدكتور علي ابو غنيم
كاتب من لبنان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فإن أحسن القول الدعوة إلى الله تعالى، وأفضل الأعمال ما يؤدي إلى فهم الدين، وتطبيقه، وتبليغه للناس وصدق الله تعالى:

﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

لما للداعية من أهمية في تبليغ الإسلام، ولحاجة الدعوة إلى دعاة أكفاء قادرين على القيام بالواجب المنوط بهم.

١ـ وجوب تبليغ الدعوة وإعداد الداعية:

كان من رحمة الله بالناس أن جاءتهم الدعوة الإلهية بما اشتملت عليه من أسس صالحة، ونظم كاملة لجوانب الحياة كافة.

وقد أوجب الله تعالى تبليغ دعوته للناس حيث أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى:

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ

والأمر يفيد الوجوب ومن المعلوم الأصل في خطاب الله لرسوله دخول أمته فيه إلا ما استثنى وليس في هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى بالدعوة لدينه، فبقى وجوب تبليغ الدعوة على المسلمين كما وجب على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى هذا الواجب حيث أمرهم وقال: " ليبلغ الشاهد منكم الغائب "[ـ صحيح البخاري. كتاب العلم باب ليبلغ الشاهد الغائب]. كما أن طبيعة الإسلام تؤكد هذا الواجب لأنه دين عام خالد يستلزم استمرار الدعوة إليه وتبليغه للناس.

وواجب تبليغ الدعوة جدير في الحقيقة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومواهبه وإيمانه، وإخلاصه، وبعده يجب أن يستمر على نمطه بوساطة دعاة يعدون لحمل الأمانة، وأداء الواجب المطلوب.

وإعداد هؤلاء الدعاة واجب حيث أمر الله بذلك في قوله تعالى

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [ـ سورة التوبة آية ١٢٢].

فبان بذلك أن على المسلمين أن لا يخرجوا جميعا للجهاد في سبيل الله، وإنما عليهم أن يخصصوا من كل جماعة نفرا يخرجون للدعوة، يتحملون المشقة في فقهها، ومعرفة طرق الإنذار بها، قاصدين من هذا الإعداد إرشاد غيرهم والنصيحة لهم أملا في هدايتهم وإيمانهم.

وقال تعالى:﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [ـ سورة آل عمران آية ١٠٤]

والأمة هي طائفة عالمة حيث أمر الله المسلمين من بينهم جماعة تتخصص بالدعوة إلى الخير، إذ تعلم المعروف وتأمر به، وتدرك المنكر وتنهى عنه، وتصدير الآية بلام الأمر يفيد وجوب ايجاد هذه الفئة العالمة لتبليغ الدعوة. وقد ربى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم على الحق واختار منهم من يصلح للدعوة وبعثهم إلى عدد من الشعوب يدعونهم إلى الله تعالى.

ومن المعلوم أن واجب تبليغ الدعوة لا يتم إلا بوساطة الدعاة، وهذا دليل على وجوب إعدادهم لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما أن سؤال الله للناس في الآخرة يقتضي تبليغ دين الله إليهم والدعوة لا تبلغ وحدها فلزم وجود دعاة يحملونها ويبلغونها للعالمين. وهكذا وجب تبليغ الدعوة، ووجب إعداد الدعاة. ولئن كانت الحاجة إلى الدعاة الأكفاء ملحة دائما فإن هذه الحاجة الآن أشد ليتعلم المسلمون ما جهلوا من دينهم، وحتى يمكن مواجهة خطر التيارات المادية التي اتسع نشاطها بواسطة دعاة المذاهب البشرية، والنحل المحرفة الذين دربوا على الترويج لباطلهم في ذكاء واضح، وخطة مدروسة وهدف محدد.

وليس بجائز أبدا أن يضعف صوت الحق أمام الهوى، وتذاع الشبهات الملحدة في الناس ولا تجد من يتصدى لها ويهدمها بالحجة والبيان، إن إعداد الدعاة واجب يلتزم به المسلمون، وعلى الأمة أن تقوم به أداءاً لواجب الدعوة، ووفاء للأمانة التي لزمتهم.

الصفات الواجبة للدعاة:

تهدف عملية إعداد الدعاة إيجاد نفر من المسلمين متميز بصفات خاصة تمكنه من القيام بالواجب الذي أنيط به وهو تبليغ الدعوة.

وهذا النفر ملتزم بتقويم الصلة بالله وبالدعوة والمدعوين، ولذا كانت أهم الصفات التي يجب أن يتمتع الدعاة بها هي:

أ- الإيمان العميق:

الإيمان هو الركيزة الأساسية للداعية وهو القاعدة التي يقوم عليها كيانه كله، والواجب أن تكون صلته بالله أوثق، ومعرفته به أوضح وشعوره بجلاله أقوى، وارتباطه بمنهجه أشد.

إن هذا الإيمان يعني التسليم التام لله لأنه النافع الضار، المعز المذل، وأنه لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى. كما ينبغي التيقن بأن دين الله حق كله لا يحتاج لجدل، ولا يقبل شكاً ومراجعة ومن ثم يثبت هذا الإيمان عنده ولا يتزعزع مهما كانت الشدائد. ومهما قوي الأعداء، وكثر الخصوم.

ويجب أن يكون إيمان الداعية إيماناً تفصيلياً على الأدلة والحجة، وأقرب طريق لتأكيد هذا الإيمان مداومة النظر في القرآن الكريم، والعكوف على تلاوته وحفظه وتدبر معانيه وتنفيذ تعاليمه. وتبيين أحكامه بتزامن دراسته مع السنة المطهرة.

ونتائج هذا الإيمان تفيد الداعية وتعينه على الدعوة، لأنه به يحب الله، ويصير محبوباً من مولاه. قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾(سورة البقرة من آية ١٦٥). وقال ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ (سورة المائدة من آية ٥٤). وحب المؤمن لله عبارة عن استغراق مطلق في الطاعة، وتسليم تام بكل ما يجد ويحدث وحب الله للمؤمن يكسبه إعانته، وهدايته، والأخذ بيده نحو الحق والخير، وهذا الحب يستتبع الثقة بالضرورة، لأن الداعية ما دام اعتقد الحق وآمن به، والتزم في كل حياته أوامر الله ونواهيه فإنه يثق حينئذ أن كل ما يحدث له ومعه جزء من الحكمة الإلهية الشاملة.

والإيمان يعين على الدعوة أيضاً حيث يندفع الداعية نحو الإخلاص والعمل ودعوة الناس بلا انتظار أجر مالي، أو الحصول على كسب دنيوي، وكل القصد هو طاعة الله وكسب رضاه بالدعوة لأنه يؤمن بأن أحسن الأقوال وأفضل الأعمال ما كان للدعوة وفي سبيلها.

وإن حدث أمام الداعية معوقات تقف بينه وبين النجاح في الدعوة فإن الإيمان يمده بطاقة من التحمل والصبر تجعله يستصغر كثرة الخبيث، ويستهين بقوة

الأعداء، ولا يخشى في الله لومة لائم، أو جور ظالم، ويرفع في الناس شعاره وهو قوله تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام ٦٤.) هكذا الإيمان الصادق يوجد الحب والثقة. ويحقق الإخلاص والتحمل، وعلى الداعية أن يتصف به.

ب- العلم الدقيق:

دور الداعية يحتاج إلى العلم الوافر والأفق الواسع، لأنه يوضح الدين ويبين للناس سمو مبادئه ونظمه، ويرد الشبهات التي تثار أمامه، ومن هنا كانت حاجته إلى التحصيل الدائم. والمعرفة الشاملة.

وطبيعة الإسلام تتطلب من الدعاة أن يكونوا علماء فاقهين لأنه دين يؤخذ من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلاهما يحتاج إلى القراءة المستمرة، والتدبر الواعي، والفهم السليم، كما أن تبليغ الإسلام يحتاج إلى معرفة الناس ومعرفة أمثل الطرق لتوجه إليهم وإقناعهم وأهم جوانب علم الداعية ما يلي:

١ـ العلم بالدعوة:

عمل الداعية نشر الدعوة، ولذا كان العلم بها من أساسيات علم الداعية لأن فاقد الشيء لا يعطيه. والدعوة بكل جوانبها تعرف بمعرفة القرآن الكريم والسنة النبوية وعلى الدعاة أن يتخذوها زاداً لهم فيعيشون مع القرآن تلاوة وحفظاً، وفهما، ومع السنة قراءة وتدبراً، وحفظاً، ومع سائر العلوم الإسلامية التي قدم فيها سلفنا الصالح الدراسات العديدة كعلوم القرآن والسنة والفقه والعقيدة... وبذلك يفهمون الدعوة ويتمكنون من تبليغها للناس.

٢ـ العلم بالمدعوين:

يتنوع المدعوون تنوعاً واضحاً بسبب ما بينهم من اختلاف، ومخاطبة كل نوع يحتاج لطريقة معينة ـ لأن ما يؤثر بجماعة لا يؤثر بغيرها. ولذا وجب على الداعية أن يعلم خصائص من سيدعوهم من ناحية العادات والتقاليد والمذاهب والاتجاهات السائدة فيهم. ويعتبر العلم بالمدعوين من أهم جوانب علم الداعية في العصر الحديث لكثرة المذاهب الوضعية وانتشارها ونشاط دعاتها، وتطاولهم على الواقع وادعاءاتهم الكاذبة في أنهم يمثلون الحق والمستقبل السعيد للناس، ولأن الداعية بهذا العلم يمكنه من مجابهته الباطل ودحضه ورد مفترياته بما في دعوته من حق. ووضوح ويساعد الداعية في هذا الجانب بعض العلوم الحديثة كعلم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية وعلم مقارنة الأديان وعلم الجغرافية البشرية وتاريخ العمران والحضارة. إلخ.

٣ـ العلم بوسائل الخطاب:

وسائل تبليغ الدعوة عديدة. ولكل منها منهج، ولا بد للداعية من معرفة هذه الوسائل، وعليه أن يتقن



الطريقة المثلى لتطبيق كل وسيلة مع المخاطبين بعد إعدادها وتنظيمها.

إن وسائل الدعوة عديدة وقد أضاف العلم الحديث إليها العديد من الوسائل حتى عدت المسرحية الهادفة، والتمثيلية المعبرة والراديو والصحف وغيرها وسائل يمكن بوساطتها تبليغ الدعوة إلى الناس.

وبهذا العلم المحتوي على معرفة الدعوة ومعرفة المدعوين ومعرفة وسائل الخطاب يكتمل للداعية الجانب المعرفي الذي يحتاج إليه لأداء الواجب.

جـ ـ الخلق المتين:

الداعية أخ للمدعوين استظهر عليهم بالنصح والتوجيه، وحاجته إلى تقديرهم له، وثقتهم فيه واضحة. ولا يمكنه ذلك إلا بالخلق الكريم البادي من احترامه للناس، وتقديرهم والصدق معهم، والكرم في معاملتهم، والأمانة الشاملة في سائر ما يكون معهم. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (إِنَّكُمْ لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) . [" مسند البزار = البحر الزخار (١٦/ ١٩٣)] . إن الأخلاق فوق أنها كمال ذاتي للداعية فهي مدعاة لتبوئه قيادة الناس وتوجيههم وللدعاة في ذلك أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تمتع بالخلق واشتهر في الناس بالصدق والأمانة، والحلم والعفو والكرم وحب الخير للناس، وصدق الله تعالى وهو يقول: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم٤] وهكذا يجب أن يكون الدعاة.



مخاطر اهدار حجية الإجماع

الدكتور عدنان أمامة



منذ مدة جرى حوار بين بعض طلبة العلم حول تفسير لأحد مشاهير الدعاة بأن الصلاح الذي علق الله عليه وراثة الأرض في قوله تعالى: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون". بأنه الصلاح الدنيوي، ولا علاقة له بأي معنى من معاني الإيمان، ولذلك حين امتلك الكفار هذا الصلاح سيطروا على العالم مع كفرهم، بينما تخلف المسلمون وضاع ملكهم مع إيمانهم، حيث قال هذا الداعية:

وقد لا ينتبه بعضهم أن الصالحين في هذه الآية لا تعني صلاحاً دينياً إطلاقاً إنما صلاح لإدارتها، لذلك إن الله ينصر الأمة العادلة الكافرة على الأمة المسلمة الظالمة، والدنيا تصلح بالكفر والعدل ولا تصلح بالإيمان والظلم. اذن يا سيدي ! انت على هذا النحو تصدر الحكم على هذه القضية! و عندك هي قضية محسومة !

والإشكال الخطير يكمن في أن هذا التفسير لم يسبق الشيخ إليه أحد من المفسرين على كثرتهم، بل التفاسير مجمعة على أن المراد بالأرض: الجنة، بدليل سياق الآيات وما سبقها، وبعض المفسرين وسع الدلالة لتشمل الوعد الإلهي للمؤمنين، الذين يعملون الصالحات بالنصر والتمكين في الدنيا فضلا عن وراثة الجنة في الآخرة،

كما في قوله تعالى:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

وتفسير الصلاح بالصلاح الدنيوي البحت من دون الصلاح الديني مخالف لإجماع المفسرين.

ومع أن الشيخ الداعية ليس من أصحاب الاتجاه المنحرف، وقد أخطأ من دون قصد، إلا أن تفسيره قد أعاد الجدل بشأن قضية خطيرة جدا انتشرت في ساحات الفكر الإسلامي وهي فكرة النص المفتوح وتعدد القراءات للنص وأن بإمكاننا أن نفهم القرآن والسنة فهما جديدا متماشيا و تطورات عصرنا وتقدمه التقني، وأنه لا يجوز أن نحجر دلالات النصوص ونلزم الناس بفهم الصحابة أو التابعين أو العلماء لها، إذ المقدس هو النص من كتاب وسنة ونحن متعبدون بهما وحدهما، أما فهمها فهو مفتوح لكل أحد بما يفتح الله عليه، وإلزام الناس بفهم أمر ما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة بل هو شرع لم يشرعه الله.

والحقيقة أن هذا الكلام يحمل حقا وباطلا، وظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، وهو مشتمل على قدر كبير من التدليس والتلبيس.

ويكفي في الدلالة على بطلانه أن نسأل أصحابه المؤمنين به والداعين له: كيف تردون على هرطقات احدهم الذي ما فتئت عبقريته تتفق بين الفينة والفينة عن تفاسير ومعان لآيات القرآن الكريم ما أنزل الله بها من سلطان، وما سمعنا بها من آبائنا الأولين ، وآخرها فيما أعلم تفسيره للحول الذي تجب على رأسه زكاة من ملك النصاب بأنه سبعة أشهر وليس اثني عشر شهرا، كما هو مستقر في أذهان المسلمين منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا، مما يعني أن الأمة الإسلامية عبر التاريخ قد ضيعت وضلت وفرطت في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، ولم تؤد الزكاة على الوجه الذي يريده ربها، وأنها غارقة في الإثم لتضييعها حق الفقراء الذين يستحقون ضعف ما أعطاهم إياه أغنياء المسلمين؟

ونسألهم أيضا: كيف تردون على الغلاة الذين كفروا جماهير أمة الإسلام مستندين إلى فهمهم للآيات الناهية عن ولاية الكفار والآمرة بالكفر بالطاغوت؟ هل حلال عليكم أن تفهموا نصوص الكتاب والسنة بطريقتكم المتحررة من قيود السابقين وحرام عليهم ذلك؟

وإذا جاءنا من يقول وقد قال فعلا: إن قطع يد السارق ليس أمرا واجبا حتما، بل هو على وجه الإرشاد والاستحباب، لأن الأمر يدل على الوجوب ويدل على الاستحباب فنحمله هنا على الاستحباب، وإن الزنا ليس محرما في الإسلام والتحريم رأي فقهاء يخطئون ويصيبون، والنهي المذكور عنه في الكتاب والسنة نهي كراهة وليس نهي تحريم، خاصة وان العلة في النهي حفظ الأنساب والآن عندنا وسائل لمنع الحمل !

! ويقول آخر - وقد قال- : الخمر لا يكون حراما إلاّ مع الإسكار، أما بدونه فليس حراما

ويقول ثان: الطهارة من الجنابة ليست واجبة لأن المراد منها (الطهارة المعنوية) في آية وإن كنتم جنبا فاطهروا، وهي طهارة القلب، وليس غسل الجسد.

ويقول ثالث: إن حجاب المرأة ليس مشروعا في القرآن، و إنما أوجبه عليها الفقهاء في عصر التزمت والتشدد.

إلى آخر ما يمكن تخيله من هذه السفسطات التي ستنتهي حتما إلى هدم الدين واقتلاعه من جذوره تحت شماعة التجديد والتنوير والقراءة الجديدة للنصوص؟

فكيف يمكن أن نوقف هذه الأباطيل؟ إن حاججناهم بقواعد الفهم وقواعد اللغة حاججونا بمثلها أو أكثر منها، و هم يتمنون علينا أن نوافقهم: و يقولون أن لنا فهمنا ولهم فهمهم وأن لا ننكر عليهم ولا ينكرون علينا لكي تبقى الشريعة كلها في إطار الظنيات، ولا ثوابت فيها ولا قطعيات،

فهل يقبل أحد بهذا؟

إنه قطعا لا يوقف هذه الضلالات والأباطيل إلاّ الاعتراف بحجية الإجماع، -وأقصد به الإجماع الثابت وليس المختلف عليه أو فيه - وأن كل فهم للكتاب والسنة يخالف ما أجمعت عليه الأمة - وأشدد على كلمة يخالف وليس أي فهم- فهو فهم باطل.

ونقول لهؤلاء المفترين على دين الله ونقطع الطريق على كل فلسفاتهم: قولكم مخالف للإجماع القطعي وانتهى، وأنتم تنقضون ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وتخالفون سبيل المؤمنين، و تذكروا قوله تعالى : وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

فالقرآن الذي تدعون التمسك به لم يقتصر في الوعيد على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم بل ضم إليه مخالفة سبيل المؤمنين وفهمهم للدين وما أجمعوا عليه.

من هنا نكتشف أهمية الإجماع ومكانته كمصدر من مصادر الاستدلال وندرك سبب عناية العلماء من كل المذاهب به، والنص على حجيته وان منكره كافر وأن الإجماع سور لو كسر فلن يبق للكتاب والسنة من القدسية إلا ألفاظهما وحروفهما.

ولا يقلل من أهمية الإجماع تقسيم الأصوليين له إلى قطعي وظني، لأن ذلك منهم راجع إلى طريق ثبوت الإجماع، وليس إلى دلالته المتفق عليها، فالكل متفق أنه متى ثبت الإجماع، فهو حجة قطعية والأدلة على ذلك أكثر من أن تذكر لعلنا نفردها في مقال جديد بإذن الله.

دروس من حياة داود عليه الصلاة و السلام

الدكتور عماد الحاج أحمد



أحس بنو إسرائيل بالضياع بعد ما فقدوا القيادة متمثلة بموسى عليه الصلاة و السلام و التابعين من بعده؛ فحنوا إلى زمن العزة، و طلبوا من ربهم قيادة تصنع لهم معنى بين الأمم الأخرى التي تتكالب عليهم!، و جادلوا نبيهم صموئيل (صوام بيت الرب) في مدى صدقهم و عزيمتهم أن يكونوا جنوداً مطيعين إن استجاب لهم ربهم دعوتهم.

إلا أن الواقع التاريخي أثبت أن كثيراً من المدعين منهم ما لبث أن تراجع عن كلامه و تعهده عندما صار له ملك يأمره و حرب تستلزم طاعة و بذل مال و دم، و هنا امتحان القلوب.

و الخاصية الأولى في الملك أن يتفق الناس على من يسوسهم حتى يرتضوا له بالطاعة، و لكن بني إسرائيل كانوا على خلافات عشائرية شديدة، فطلبوا من صموئيل أن يحسم في الأمر. و اختار الله سبحانه لهم ملكاً ممن ليس له طاعة فيهم! و ليس من بيت زعامة، و لا من أهل المال، و في ذلك ليختبر طاعتهم، فليس في اتباع طالوت (شاؤول) مطمع و لا مكسب فلا زعامة عشيرة و لا رجاء مكسب مال!

وتم الاعتراض لكنه رفض، لأن من يسأل الابتلاء لا يحدد نوعه و درجته. فالابتلاء امتحان تخوضه فتنجو أو تخسر؛ ثم إن الملك لا يحتاج إلى زعامة و لا إلى مال بل:

-إلى عقل مناسب للإدارة.

- وإلى صحة تسمح في متابعة أمور الملك.

و هذا متوفر في الملك المختار طالوت (شاؤول) و كفى، فإما اتباع بالمعروف و إما مفارقة بإحسان.

و بدأ التململ يدب في المنافقين، و أول مظاهره التشكيك في الخيارات و الأشخاص و الأدلة! و بدأ سيل الأسئلة ، ما أدرانا أن عقله راجح علينا؟ و ما أدرانا بمؤهلاته القيادية؟ ما الدليل على أن هذا الرجل يوفّ بالمطلوب عندنا؟

وجاء الجواب سريعاً من ربّ العزة: إنني اؤكد صحة اختيار النبي صموئيل بأن تعيد الملائكة لكم تابوت العهد الضائع الذي غنمه الفلسطينيون منكم في معارك سابقة. و هكذا حصل، و ما بقي إلاّ تمايز أهل الإيمان و أهل الجدل و النفاق.

جمع طالوت (شاؤول) جنود بني إسرائيل للحرب كما طلبوا! و كان أول امتحان بسيط جداً، و هو ظهور مجرى ماء (و هو مجرى سيل يظهر ثم يختفي مع الوقت) في فصل الأمطار. و أرض حرب اليهود صحراء جدباء تحتاج إلى صبر و مجادلة، تماماً كحروب الرسول محمد عليه الصلاة و السلام في أرض جزيرة العرب اللاهبة.

وفرح الجنود بالنهر، و نسوا أمر الحرب و ؛ أمرهم القائد بالعبور فوقه إلا أن يشرب العطاش من الجيش، و يمضي الجميع إلى ما أمروا به. ترك الكثير من الجنود الأمر فانصرفوا إلى الأكل و السباحة، و قاد طالوت البقية حتى وصلوا إلى عسكر الفلسطينيين بقيادة زعيمهم الفارس المغوار جالوت.

خاف كثير منهم من مشهد العدد، و كثرة السلاح و العتاد، و طمأنهم القائد أن القوة ليست في العدد و لا في السلاح بل في الإيمان بالقضية و الثبات لأجلها،"فإما النصر و إما الشهادة، و في الحالتين فوز".

و هرب الكثير من الجنود (المنافقون) و بقيت قلة المؤمنين الذين عاهدوا على الموت، كما حصل مع عكرمة بن أبي جهل عندما بايع و إخوانه

على الموت في سبيل الله، فدكوا قلب الجيش الرومي في معركة اليرموك. و اشتبك الجنود مع عدوهم في نزال غير متكافىء، كما حصل في معركة بدر الكبرى، و كانت الغلبة لجنود الإيمان و من يواكبهم من جند الملائكة يحفهم العزم و الدعاء .

و كانت المفاجأة الصاعقة، هزم الجيش الفلسطيني الحاشد و المدجج بالسلاح، و قتل معظم قادة الجيش الفلسطيني "جالوت" على يد أصغر مقاتل و هو "داود الحافي"، و بدون سيف بل بمقلاع الراعي، تماماً كما قتل علي بن أبي طالب عمرو بن ود فارس المشركين الأعتى في الخندق.

ثم كان الابتلاء الجديد؛ ليس الملك حكراً على أحد بل هو للأجدر، و الأجدر في المعارك كان داود، فليكن داود الملك. وعاد التنازع إلى اليهود بين حاشية طالوت و جند داود، فكانت الغلبة لخيار العقل و محط الاختيار الرباني؛ وحمل داود مسؤولية الملك، و تعلم فن الإدارة و العسكر ممن سبقة و كان جديراً بالمسؤولية.

وهكذا يعلمنا رب العزة أن الناس جنود في أمره (على ما تتطلبه مقتضيات رفع أمر الدين)، و يستخدمهم في الخير و الإصلاح، و هكذا تقوم الأمم بالقانون و الصلاح و العزيمة عليهما.



علي عزت بيغوفيتش شخصية إسلامية



كتابة : مهنا الحبيل
مركز الدراسات الإسلامية اسطنبول

في شخصية الرئيس الإنسان، ورحلة الحكم التي خاضها، وودع الدنيا بعدها رحمه الله، وفيا لفلسفته العميقة، ورسالته الحضارية التي فهم بها مدلولات المعادلة الثنائية للمادة والروح في قصة الإنسان، وتحريره لها في قلب الصراع الحادّ بين الإلحاد والإغراق الروحي الكهنوتي.

من الصعب للغاية أن نجد في تاريخ البشرية مفكرا فيلسوفا، ينجح في تجربة سياسية يشارك فيها، فضلا عن أن يكون هو الرئيس للدولة، وفضلا عن أن تكون هذه الدولة مركز استهداف ديني وقومي شرس لا حدود لوحشيته، ثم يستمر هذا الرئيس قائدا ناجحا، يحمل شعبه بكل أعراقهم وديانتهم نحو سكة السلام، وهو يُصر على أن فهمه لفكر الإنسان في الإسلام هو مادته النهضوية لإنقاذ الأسرة البشرية في البوسنة والهرسك، بما فيها الطوائف التي خرج البغاة المتوحشون منهم، ويُجدَّد انتخابه بأصوات المسلمين ولكن بأصوات شريحة مهمة من الصرب والكروات.

في إطلاق أ. د. عبد الوهاب المسيري، على علي عزت بيغوفيتش لقب المجتهد المجاهد، معنى مهم لسيرة الكفاح التي خاضها في السجون الشيوعية، أو في الحصار الشرس على قصر الرئاسة في سراييفو، وبقي بيغوفيتش ممسكا بريشة الحلم الفكري، يكافح فيه عدوانية الغرب والشيوعية، لاغتيال وطنه الذي خاض حرب البقاء وانتصر بفضل الله ثم جهاد حكمته.

ومن المهم للغاية، أن نفهم معادلة الدفع للمقاومين الإنسانيين المؤمنين برسالة العدالة في الإسلام كدين لهم، أو في أي ديانة أو ملة أخرى، وأن طبيعة الخلق لا بد لها من قوة تحمي الحق فيها، ولذلك فإن مسارات الوعي الفكري وإقرارات العدالة الإنسانية، لا تعارض أبدا حق الدفاع والكفاح المسلح، ولا يوجد غصن زيتون لا يحميه مدفع عنيد، فلا يسلّم الغصن لمزنجرات العدو المتخلف عن الحضارة، مهما بلغ تقدمه العلمي المشهور، ما دام حق الشعوب رهن مصالحه، لا حق قرارهم وحريتهم.

ولذلك لا بد أن يُسقط تأثير قوة وصلابة علي عزت بيغوفيتش على جيشه وقواته ومتطوعي شعب البوسنة، ومن شاركهم من ضباط وطنيين من الصرب والكروات ضد معادلة حرب الفناء لجمهورية البوسنة التي قرر الغرب وموسكو اقتسامها بأيدي ميلوسفتش، لولا أن الإرادة الحديدية للبقاء المتعلقة بالله، كانت تُحوّل السلاح البسيط إلى قلاع حصينة، رضخ بعدها شركاء التصفية إلى حل أقر ببقاء البوسنة والهرسك.

وكان قائد هذه المعركة باقتدار علي عزت بيغوفيتش نفسه، وقد قال سلوبودان ميلوسوفيتش مرة، إن البوسنيين بهذا الصمود والقتال، لو كان لديهم سلاحنا (يقصد المعتدين الصرب) لوصلوا لبلغراد، فما الذي وحّد هذه الكتلة البشرية المحاصَرة، والمتداخلة دينيا وعرقيا حتى زمن الحرب مع هذا الرئيس، وكيف نجح في إسقاط الحصار وتثبيت الجمهورية المختلفة في قلب أوروبا.

تظهر في خطاب علي عزت بيغوفيتش روح المقاومة الفكرية في فلسفته في إقرار الطريق الثالث للإيمان والنهضة، فهو يطرح أسئلته بقوة وأدب معا، هو يصارح بكل عزيمة على ماذا تفصّل مقاييس الإنسان، وتقدّس نظريات تَسقط من عين العقل، ويختتم معناها في النهاية إلى فكرة عدمية مفلسة.

في مواجهته الفكرية للمادية الإلحادية بصورها المختلفة، اقتحم بيغوفيتش العقل بأداة تساؤل مذهلة، معلنا أن كل مبادئ الوجودية المادية، تتحدث عن حيوان مطوّر، هو الإنسان، فقط حيوان مطور، لأنه لا وجود للروح، وأين هذه الروح وكيف خلقتها المادة المجردة؟

وهي الروح ذاتها من أول التاريخ، إنما تتطور معارفها، لا جواب لدى المادية الشيوعية أو الوجودية، إلّا إعادة قصة التاريخ والمادة، هروبا من سؤال أزلي، قوته كامنة في روح الإنسان، فتُهزم هذه الخرافة عند هذا السؤال، ليس سخرية منها ولكن لكونها خرافة فعلا بمنظور التأمل الحقيقي للوجود.

يتساءل علي عزت بيغوفيتش عن تناقضات المهمة الوجودية لصناعة رسالة أخلاقية، تُنكر الروح المستقلة وجوديا عن المادة، وهو ما تعمل عليه الوجودية لتعويض تناقضها وملأ الفراغ الضخم لأخلاقيات الإنسان، ثم يُشير إلى سقوط المعادلة من داخلها.

"إن الإيمان هو الذي حمل بيغوفيتش على أن يرفض الاحتماء بخصوصية القصر الرئاسي، وحمله على المبيت في شقته المتواضعة مع أهله، فإذا دوّت أجراس القصف، اطمأن على كل جيرانه في الملجأ، ثم عاد لمكتبه وأكب على القرآن، يركن إلى الدستور الأزلي المقدس لرعاية الروح ونهضة الجسد، حتى تنتهي موجة القصف"

فمن يبعث الأخلاق الروح أم المادة؟ المادة لا تبعث فكرا ولا تنمي خلقا، ولا تتطور بذاتها لتتحول إلى منظومة سلوك.ويقول لهم بكل احترام، هناك ملاحدة ذوي خلق، لكن ليس هناك إلحاد أخلاقي، لأنه ساقط في تفسيره العلمي، فباعث الخُلق لدى الملحد والمؤمن هو الروح، فمن أنكر الروح أنكر نزعة الخُلق فيه، وهرب إلى الأمام دون جدوى.

بقيت هذه الفكرة مصدر إشعاع في روح علي عزت، وكانت تهديه لأخلاق الإسلام التي لم يتكرر مثلها اليوم في نماذج من وصلوا لعمل سياسي باسم الإسلام، فضلا عن مستبدي الشرق، والفارق لدى بيغوفيتش، مع التفكير الإسلامي المعاصر، أن فهمه لمهمة الإسلام في الحياة، الحضارة والروح والأخلاق والعدالة مع البشرية، وليس تلبيس أدوات الفهم القديم، بقشور من أقوال وبيانات.

إن هذا الإيمان وهذه الروح التي حملته على أن يرفض الاحتماء بخصوصية القصر الرئاسي، وحملته على المبيت في شقته المتواضعة مع أهله، فإذا دوّت أجراس القصف، اطمأن على كل جيرانه في الملجأ، ثم عاد لمكتبه وأكب على القرآن، يركن إلى الدستور الأزلي المقدس لرعاية الروح ونهضة الجسد، حتى تنتهي موجة القصف؛ هي الروح نفسها التي اختار بها البوسنيون علي عزت بيغوفيتش وانتخبوه، وقد رأوهُ يرفض تأمين الطعام له ولأسرته، عبر القصر الرئاسي في الحرب، ويشارك الشعب علب الغذاء التي توزّع من مراكز الإغاثة.

وهي الروح عينها التي رفضت أن تعلّق صورها، وتمجد كزعيم تاريخي لأنه انتصر في معركة البقاء أمام الدبابة والغزو الهمجي، ولم يُطلق مسارَ استثمار يسمح في مساحة فساد لضمان كسب "محازبيه"، إنما تمسك بقواعد فكره رئيسا وإنسانا.

يصعب على شباب اليوم العبور أكثر من ثلاثة عشر قرنا لفهم الجوهر الذي يوحّد بين عمر بن عبد العزيز وبين علي عزت بيغوفيتش، لكنه تقريب لهم، لفهم المعادلة في إدراك فلسفة الروح والجسد، وفهم مقصد الحكم للعدالة في رسالة الإسلام، وإن اختلفت الظروف والوقائع، وربما المهام بكل تأكيد، لكنها يقينا اتحدت في عقيدة واحدة هي رسالة الإنسان والحكم في الإسلام، العدالة الاجتماعية والمساواة الحقوقية للحكم الرشيد. أليس هذا ما يبحث عنه العالم الجديد؟

في فقه مقاومة الاستبداد



الدكتور محمد عمارة
مفكر إسلامي من جمهورية مصر العربية

الاستبداد: هو الانفراد بأية سلطة من السلطات ـ سياسية أو مالية أو إدارية.. والانفراد ـ أي الاستبداد ـ يعني استغناء المستبد بنفسه عن شورى الآخرين، وعن اشتراكهم في صناعة القرار.

ولقد جعل القرآن الكريم هذا الانفراد والاستغناء والاستبداد المقدمة التي تفضي إلى الطغيان، بل جعل ذلك سنة وقانونا من القوانين والسنن الاجتماعية التي لا تبديل لها ولا تحويل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ ـ العلق ٦، ٧ .

وفي المنهاج الإسلامي ـ والسياسة الشرعية ـ تقرر أن الاستبداد منكر من أشد المنكرات، لأنه لا يقوم إلا على أنقاض فريضة الشورى ـ التي هي المشاركة في صنع القرار .

ولأن هذا الاستبداد قد أصاب الدولة الإسلامية لحقب طويلة من تاريخها، كانت الأمة وفي مقدمتها العلماء، قائمة على إنكار هذا المنكر، وقائمة وعاملة على تغييره ـ باليد والثورة حينا ـ وباللسان والقلم أحيانا آخر ـ وبالقلب والعصيان المدني والرفض في كل الأحايين.

ولقد تأسست هذه السياسة الشرعية على ما جاء في القرآن الكريم من جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة الفرائض، التي تشمل كل ألوان العمل العام .

أي أنها فريضة اجتماعية، واجبة على الأمة ـ أفرادا وجماعات ـ ويقع الإثم على الأمة كلها عند التخلف عن إقامتها، أي أنها آكد وأهم من الفرائض العينية ـ الفردية ـ التي يقع إثم التخلف عنها على الفرد وليس على المجموع: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ـ آل عمران: ١٠٤ ـ وهي واجبة على النساء والرجال. ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (التوبة ٧١)

بل إن خيرية الأمة الإسلامية هي خيرية مشروطة، وفي مقدمة شروط هذه الخيرية تغيير المنكر.. كل ألوان المنكر ـ ومقاومة الاستبداد والانفراد بالسلطة والسلطان: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ (ـ آل عمران: ١١٠.)

ولأن السنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني، فلقد امتلأت أحاديث هذه السنة النبوية بكنوز من التعاليم والقيم التي تزكي فريضة إنكار المنكر ومقاومة الاستبداد والمستبدين وتغيير واقع الجور والفساد..

ومن هذه الأحاديث ـ التي يجب أن يعيها العلماء، وأن تذيعها المنابر، وأن توضع في مناهج التربية والتعليم، لتخريج أجيال حرة، تعي أن دينها قد جاء لتحرير الانسان من الاستعباد لكل الطواغيت ـ فالتوحيد الذي يفرد الذات الإلهية بالعبادة إنما يعني قمة التحرير لهذا الإنسان..

كما يجب أن تفهم هذه الأجيال الجديدة، و من فقه القرآن والسنة، أن هذا الدين قد جاء ليحطم سلاسل العبودية وقيود الاستبداد.. جاء ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم (الأعراف: ١٧٥)

ومن هذه الأحاديث التي تمثل ثروة في فلسفة الحرية والمقاومة لنظم الجور والاستبداد، قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:

- من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

- وخير الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه - في ذات الله تعالى- فقتله - أي على ذلك .

- أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

وفي فقه المقاومة للولاة الظلمة والسلاطين المستبدين، جاءت العديد من الأحاديث:

- إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه يوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده.

- ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لايفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

- سيكون من بعدي أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولم يرد الحوض.. ومن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم، ومن وقع منهم في دنياهم فهو منهم.

وفي فقه المقاطعة للحكام الظلمة والولاة المستبدين، وممارسة العصيان المدني ضدهم وضد استبدادهم جاءت الأحاديث النبوية التي تؤكد ذلك، وخاصة على العلماء الذين يجب أن يحرصوا على الاستقلال عن الأمراء:

- أبغض القراء ـ (أي العلماء) ـ إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء.. وخير الأمراء الذين يأتون العلماء، وشر العلماء الذين يأتون الأمراء.. والعلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإن فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل، فاحذروهم واعتزلوهم.

- إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق و من أكرم فاسقا فقد أعلن على هدم الإسلام. و من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه.

- لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم تمالئ قراؤها ـ(أي علماؤها) ـ أمراءها

- إن الله لعن علماء بني اسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم.

نعم.. لقد جعل الإسلام إنكار المنكر ـ وفي مقدمته الاستبداد، الذي تشيع في ظلاله كل ألوان المنكرات ـ فريضة على الجميع ـ أفرادا وجماعات ـ وأوجب إقامة الجماعات المنظمة لإنكار المنكر، لأن التنظيم أفعل في إقامة هذه الفريضة الاجتماعية..

لقد أشار إلى هذه القضية ـ في العصر الحديث ـ الإمام محمد عبده، وهو يفسر معنى الأمة بالجماعة المنظمة في قول الله سبحانه وتعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فقال:

وإذا كان كل فرد من أفراد المسلمين مكلفا بإقامة هذه الفريضة.. فهم مكلفون ـ أيضا ـ بأن يختاروا أمة منهم تقوم بهذا العمل لأجل ان تتقنه وتقدر على تنفيذه..

فإقامة هذه الأمة الخاصة فرض عين يجب على كل مكلف ان يشترك فيه كل فرد مع الاخرين، ولا مشقة في هذا علينا، فإنه يتيسر لأهل كل قرية أن يجتمعوا ويختاروا جماعة يصح أن يطلق عليهم لفظ الأمة، ليتولوا إقامة هذه الفريضة فيها، كما يجب ذلك في كل مجتمع إسلامي..

ذلك أن معنى الأمة يدخل فيها معنى الارتباط والوحدة التي تجعل أفراد هذه الأمة ـ الجماعة كأنهم شخص واحد.

وهكذا جعل الإسلام إنكار المنكر وتغييره، ليحل محله المعروف والإصلاح، الفريضة الاجتماعية الشاملة لكل فرائض العمل العام، حتى لكأنها الفريضة التي يتوقف على إقامتها إقامة كل شعب الإيمان..

وهكذا قامت الشريعة الإسلامية لمقاومة الاستبداد، الذي هو المناخ المناسب لانتشار المنكر في مناحي الحياة كافة.

الخلل في تناول مفهوم العذر بالجهل



الدكتور شوقي علام
كاتب من جمهورية مصر العربية

من تجليات الرحمة الإلهية على العالمين كافة، تكليفهم باتباع دين الإسلام طواعية واختيارا؛ لملازمة جوهره وأحكامه لمعاني الرحمة ومظاهر السماحة وسمات التيسير في سائر أحوال المكلفين

وهذه قضية ثابتة محسومة عقلا وشرعا وحسّا، وتحمل في طياتها محاسن هذا الدين الحنيف، الذي بنى أصل التكليف على قدرة المكلف واستطاعته، فإذا ما طرأت على المكلف أحوال وعوارض -طبيعية أو مكتسبة- تؤثر سلبيا بهذه القدرة وتلك الأهلية بالإزالة أو النقصان، أو بتغير بعض الأحكام، وجدنا الشرع الشريف يحضّ على التخفيف وإتاحة الرخصة ورفع الحرج وإزالة المشقة في التكليف بما يتفق وهذا العارض بحسب صفته مؤقتا كان أو دائما على وجه حكيم

و على الرغم من وضوح هذا الأصل، لم نجد من أهل التطرف والتشدد إلا إهماله حتى ضيقوا ما وسّعه الله تعالى، بل تسبب صنيعهم الفاسد أن كروا على مقاصد الشرع وأصوله بالبطلان؛ لأنهم ولجوا دائرة الحكم بالكفر والردة فبادروا وأطلقوا مجازفة وتسرعا أحكام التكفير والتبديع على كل مَن اقترف قولا أو فعلا مكفِّرا ولو كان جاهلا

ولقد ألجأهم هذا التنطع والغلو إلى اختزال الأدلة وانتقاء النصوص على ما يوافق هواهم والتفتيش في نفوس الناس والترصد لأفعالهم وتأويلها على خلاف مقررات الشرع ومقاصده ومقتضيات الواقع، فضلا عن الافتئات على أهل الاختصاص، وعدم مراعاة توافر الشروط المحكمة وانتفاء الموانع المقررة في هذا الباب، والتي منها العذر بالجهل، الذي يمثل عارضا مؤثرا بأهلية الأداء للمكلف، حيث تستوجب هذه الأهلية تحقق صلاحية الإنسان لكون ما يصدر عنه معتبرا في الشرع؛ مما قد يترتب فيه إسقاط بعض أحكام التكليف عن المكلف كالإثم مثلا

واعتبار الجهل عذرا شرعيّا آتيا من جهة التخفيف والرخص التي لا تدل إلا على سماحة الإسلام وشمول رحمته بالخلق على وفق ضوابط وشروط مقررة، فليس كل جهل يعد عذرًا بحيث ينتفي التأثيم معه، وإلا لكان الجهل خيرًا من العلم، ومن ثَمَّ قرر الأصوليون والفقهاء ضوابط للجهل، الذي يعذر به والذي لا يعذر به، ويمكن رد مسألة العذر إلى أمرين؛ الأول: باعتبار رجوعها إلى المكلَّف نفسه، وهو الذي يتمتع بأهلية أداء كاملة، بمعنى أنه لم يَعْرِض له أي من عوارض الأهلية سوى الجهل، وعليه فلا يعذر مَن هذا حاله سوى صنفين مِن الناس:

أولهما: حديث العهد بالإسلام، ومَن نشأ بمكان بعيد عن العلماء، ومثلهما مَن كان يقيم ببلد يغلب عليه البدعة، ومَن كان في أرض غلب عليها أحكام غير المسلمين بالأولى. وثانيهما: مَن لم يمكنه التعلم، بحيث يكون الجهل في هذه الحالة مما يشق الاحتراز عنه، وذلك كأهل الفَتْرة وأزمنة اندثار آثار النبوة، فإذا وقع منه ما يقتضي الكفر لايكفر، على أن إمكان التعلم قد يكون بسؤال أهل العلم أو ببذل الوسع في القراءة والتحصيل، كما أنه -أي عدم إمكان التعلم- من الأمور التقديرية التي يترك فيها المرء وأمانته

أما الأمر الثاني: فيرجع إلى متعلَّق الجهل، الذي هو الشيء المجهول، وضابطه يرجع إلى مدى ظهور المسألة المجهولة وانتشارها من عدمه، والذي يُفهَم من مجموع تقريرات العلماء بشأن هذه المسألة، أن ظهور مسائل الشرع وذيوعها تُكوِّنه عدة عوامل تتجلى في جملة من الأمور، منها: أن تكون المسألة معلومة من الدين بالضرورة، بحيث يستوي في علمها جميعُ الناس، ومنها: أن تكون مِن المسائل المنصوص عليها في الكتاب أو السنة بالدلالة القطعية، أو أجمع عليها العلماء وتناقلتها الأجيال المتعاقبة، ومنها: أن تكون من المسائل التي لايتعذر على المكلَّف فيها رفع الجهل عن نفسه عادة؛ كأركان الوضوء والصلاة والصيام مثلا.

ومما سبق تتَّضح أهمية الوقوف على حكمة الإسلام من ربط التكليف بتحقق الأهلية الكاملة للمكلف لما في ذلك من إشارة إلى حقيقة الإسلام وإبراز محاسن

فضاءات الشريعة الإسلامية
"المصادر والمعالم والمقاصد والمكارم"

بقلم: الشيخ احمد عمورة
عضو هيئة العلماء المسلمين



الشريعة الإسلامية شراع سفينة الحق، والإيمان ساريته التي يحتف بها ويأرز إليها ويسمو بها، وهي اسم جامع لأسمى المشاعر، و هي معتصم أهل الدين.

قال ابن منظور: "والشَّريعةُ في كلام العرب: مَشْرَعةُ الماء وهي مَوْرِدُ الشاربةِ .. والعرب لا تسميها شَريعةً حتى يكون الماء عِدًّا لا انقطاع له، ويكون ظاهراً مَعِيناً."

هذه هي الشريعة الإسلامية في لسان الشرع وفي أصل الوضع، إلاّ أن شراع هذه الشريعة قد انكمش مع اشتداد عاديات الفتنة والاضطهاد، وفي ظل هذا الانكماش الاستثنائي سادت المسائل الفرعية والفتاوى الشخصية في الحقل التداولي الإسلامي، حتى سدَت منابعه الأصيلة ممثلة بمصادر التشريع وحيا وما دل عليه الوحي، كما سدت آفاقه النبيلة ممثلة بالمقاصد المصلحية والمكارم الإصلاحية، وتعاظمت حتى طغى ماؤها فغطى المعالم الكبرى للتدين.
وأمام هذه الواقعة تتأكد المسؤولية العظيمة لأمناء الملة والأمة في استعادة الفضاءات الكبرى للشريعة ممثلة بالمصادر والمعالم والمقاصد والمكارم، وإعادتها إلى دوائر الاشتغال العلمي والامتثال العملي على قدر أوزانها النوعية وموازينها الوظيفية.

فعلى مستوى المصادر، كان الوحي الحاكم والناظم لشؤون وشجون الحياة هو الدين الخالص والمُخلّص الذي بشر به النبي الخاتم ﷺ، وهو أمر مغاير لما هو شائع اليوم من عمليات تحضير النصوص لقضاء الحوائج على طريقة استحضار الجن، إن ضمور الحضور المهيمن لنصوص الوحي تلاوة وطلاوة، وتذكرا وتفكرا وتدبرا وتدبيرا، هو الذي مهد الطريق أمام هيمنة الأوضاع المخلة والمشينة التي تعصف باجتماعنا السياسي وصولا إلى الديني. وهو الأمر الذي غطى معالم الدين، هذه المعالم التي جاءت في حديث جبريل على شكل مراتب وأركان وعلامات، قال ﷺ: "ذاكَ جبريلُ أتاكم يعلِّمُكُم معالمَ دينِكُم" رواه أحمد وابن ماجة.

ولقد كان للإحياء الديني لفضاء المقاصد تأصيلا وتفصيلا وتحصيلا، بالغ الأثر في ترشيد الاجتهاد المعاصر وتشييد الوعي الجمعي بهذا البعد المغيب، إلا أن التصنيف التقليدي للمكارم كجزء من منظومة المقاصد فضلا عن تأخيره من حيث الرتبة إلى قعر السلم المقاصدي بوضعه في رتبة المقاصد التحسينية، قد عطل طاقة الإبداع والانتفاع بهذا الفضاء الكلي الذي يمثل صميم الهوية الرسالية للدين الإسلامي كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" كما في رواية "مجمع الزوائد" أو في كما في روايتي "التمهيد" الأولى "حسن الأخلاق" والثانية "صالح الأخلاق".

إن ربانية المصادر وظهور المعالم والعمق الإنساني لثنائية المصالح والأخلاق على مستوى المقاصد والمكارم، هي الرباعية التي تشكل المنصة المانحة للشرعية، شرعيّة إنتاج النموذج الحضاري الكوني، الذي يشكل معيار ومعمار التحضر الإنساني الأمثل.

مشكلة "فهم" النص القرآني في الدراسات الاستشراقية الاستشراق الصهيوني انموذجاً

كتابة: أحمد البهنسي
باحث من جمهورية مصر العربية



مقدمة :

احتلّ القرآن الكريم مكاناً مهماً بين اهتمامات الاستشراق الصهيوني، ظهر ذلك في إعداد ترجمات عبرية مطبوعة وكاملة لمعاني القرآن الكريم صدرت في الكيان الصهيوني ، زيادة على إعداد مقالات عن القرآن الكريم بالموسوعات اليهودية، فضلا عن كثير من الأبحاث والكتب والدراسات والمقررات الدراسية الصهيونية عن القرآن الكريم.

و اعترت الكتابات الاستشراقية الصهيونية المتعددة عن القرآن الكريم كثير من الإشكالات والأزمات، والتي كان على رأسها «اشكال فهم» القرآن الكريم، نظرا لخضوع الاستشراق الصهيوني لأفكار وايديولوجيات تحمل آراء وقوالب فكرية مسبقة يتم فرضها فرضاً على النص الديني لتطويعه خدمةً لأهداف هذه الايديولوجيات الاستشراقية الصهيونية، وهذا أبعد هذه الكتابات الاستشراقية عن الموضوعية العلمية والحيادية الفكرية في فهمها للنص القرآني بالمحصلة.

وتعدّ أزمة فهم القرآن الكريم من الأزمات التي لا تخص الاستشراق الصهيوني فحسب، بل هي ازمة تعتري معظم الكتابات الاستشراقية عامة بخصوص القرآن الكريم، وعلى الرغم من أهمية نظرية «الفهم» Verstehen لمؤرخ الأديان الألماني Y.Wach فاخ في مجال دراسة علم الأديان وإفادة المستشرقين منها في دراسة ديانات الشرق الأقصى (البوذية، الهندوكية، الكونفوشيوسية...غيرها)، فإنهم تعمدوا اهمال استخدامها في دراسة القرآن الكريم.

وتأسيساً عليه يقوم بحثنا هذا بتطبيق نظرية «الفهم» على عدد من النماذج المختارة من الكتابات الاستشراقية الصهيونية عن القرآن الكريم، مبينا أسباب اشكال فهم القرآن الكريم في هذه الكتابات ومظاهر هذا الاشكال. فضلا عن تقديم رؤية نقدية علمية لمظاهر هذه الاشكالية في محاولة لتفنيدها، والوقوف على أسبابها الحقيقية.

و نقدم اولا ، تعريفا لنظرية «الفهم» وموقف الدراسات الاستشراقية عن القرآن الكريم منها، مستعرضين موقع القرآن الكريم من بين اهتمامات الاستشراق الصهيوني وموضوعاته، موضحين علاقة الاستشراق الصهيوني بالاستشراق الغربي والاستشراق اليهودي.

أولا : نظرية « الفهم » وموقف الدراسات الاستشراقية عن القرآن الكريم منها:

تعد قضية «الفهم» من القضايا المهمة والمثارة بشدة في علم تاريخ الأديان religions wissnschaft(٢)، ويهتم بها مؤرخو الأديان المعنيون بدراسة دين غيرهم بالتحديد، بوصفها قضية أو نظرية تقدم طريقة وأسلوبا جيدا لدراسة الأديان والتعرف عليها من قرب أو من الداخل؛ أي إنّها تحاول فهم الدين المعني بالدراسة على وفق ما يفهمه أصحاب الدين عنه.

وعلى الرغم من معرفة كثير من المستشرقين بنظرية أو قضية «الفهم» فإن معظمهم لم يستفد بل ربما لم يهتم بتطبيقها على الاسلام ومصادره الأساسية وفي مقدمتها القرآن الكريم؛ اذ لم يظهر لها تأثير بدراسات المستشرقين المعنية بالإسلام، وهو ما يعد « اشكالية» حقيقية تعتري الدراسات الاستشراقية عن القرآن الكريم.

١ ـ نظرية الفهم :

تستعمل مصادر تاريخ الأديان المصطلح الألماني

Verstehen «الفهم» للتعبير عن قضية «الفهم» في علم الأديان، ويرد الباحثون استخدام هذا المصطلح أول مرة لمؤرخ الأديان الألماني .Wach J يواكيم فاخ، الذي يرى أن الفهم في مجال دراسة الأديان، قائم على افتراضين، الأول: هو العطاء من أجل الفهم، و هو أمر يعود لطبيعة الاحتكاك الانساني بالظاهرة الدينية، أما الافتراض الثاني: فهو التدين الفطري للانسان الذي يجعل لديه قدرة داخلية على فهم الدين.

ويرى بعضهم أن علم الأديان من أكثر العلوم الانسانية حاجة إلى «الفهم»، لأنّ الفهم هو أسلوب لتحصيل المعرفة من ثم فهو أساس البحث المعرفي والمنطقي والميتافيزيقي والنفسي والأخلاقي.

أمّا ما يخصّ منهج «نظرية الفهم» فهو قائم على الفهم التكاملي الداخلي للظاهرة الدينية ولطبيعة وبنية الخبرة الدينية، وتعبيراتها النظرية والعلمية والاجتماعية.

ويفرق « فاخ» بين علم اللاهوت THEOLOGY وعلم الأديان، فعلم اللاهوت يهتم بفهم الايمان وتثبيته، أما علم الأديان فيهتم بدراسة جميع الأديان الأخرى وفهمها وهو لا يقضي على القيم الدينية أو يهملها ولكنه يسعى إلى القيم الدينية التي توسع الشعور الديني وتعمق الفهم الديني.

وتعتمد نظرية «الفهم» على الجمع بين مناهج ورؤى علم تاريخ الأديان وفلسفة الدين وعلم اللاهوت، مستندة في ذلك إلى استخدام «المنهج الفينومينولوجي» في تحليله للتجربة الدينية بهدف الوصول لتحليل طبيعتها وجوهرها.

ومن أهم ما توصلت اليه نظرية الفهم الخاصة بـ«فاخ»، هو أن هناك موضوعات «عالمية» UNIVERSAL TOPICS في الفكر الديني، وأن العالمي نجده متضمنا في الخاص فيما يتعلق بالفكر الديني، فقد كان «فاخ» مؤمنا ايمانا قويا بمبدأ تعددية الأديان، و على وفق رأيه فان المسيح عليه السلام وبوذا ومحمد صلى الله عليه و سلم ، هم اختيارات عالمية UNIVERSAL OPTIONS وأن على الانسان أن يختار إيمانه على الرغم من العوامل البيئية.

وتبلور نظرية «الفهم» متطلبات « فهم» أي دين بتكريس العقل والروح في مجموعها للدين المدروس، بمعنى أنه لابد من الاستجابة والحيوية الداخلية واتساع الأفق اذا اردنا أن نفهم الأديان الأخرى، ولابد من أن نملك الاحساس بالدين، وأن نتغلب على كل الافتراضات والآراء المسبقة «الأيديولوجيات»، وأن نفهم ونقدر ونشعر بـ«ظواهر» الديانات المدروسة في واقعها، وليس على وفق ايديولوجيات يكون الباحث أو الدارس مشبعاً بها من قبل لهذا الدين.

٢ ـ موقف الدراسات الاستشراقية:

على الرغم من ضرورة نظرية «فاخ» على مستوى علم الأديان، فإننا نجد عدم وجود استجابة حقيقية من جانب المستشرقين المختصين في الدراسات القرآنية لاستغلال هذه النظرية واستخدامها؛ اذ إن الغالبية العظمى من المستشرقين تخصصوا بالدراسات القرآنية من دون محاولة منهم لفهم الاسلام من داخله، أو فهم الاسلام والقرآن الكريم كما فهمه المسلمون، ومحاولة تفسيره وتحليله بوساطة مصادره الأصلية والمعتمدة. الى الحد الذي يمكن القول معه: إنّه بات هناك فهمان للقرآن الكريم، الأول: فهم اسلامي يتَّبعه المسلمون، والثاني: فهم استشراقي مغاير طوّره المستشرقون.

كما إن «نظرية الفهم» في الدراسات الاستشراقية لا تمثل قضية بالأساس عند المستشرقين؛ فالغالبية العظمى منهم تخصصوا بالإسلام وحضارته من دون طرح لمسألة فهم الاسلام وحضارته، وهذا يدل على أن الفهم لم يكن يمثل مشكلة نظرية أو منهجية في الدراسات الاستشراقية، ويعود هذا الى الارتباطات الايديولوجية للاستشراق بوصفها حركة

فكرية غربية ساعية لتحقيق أهداف معينة من دون اهتمام بالفهم، بل إنها في سبيل تحقيق الأهداف أهملت وشوهت الاسلام ومصادره (موضوع الفهم) لأن التشويه في حد ذاته وسيلة من وسائل تحقيق الأهداف الأيديولوجية.

وتبدى اهمال المستشرقين لنظرية الفهم فيما يتعلق بالدراسات الاسلامية في «ابدال» المفهوم أو المصطلح الاسلامي الصحيح بمفهوم استشراقي، وذلك بهدف الابتعاد عن الجوهر الحقيقي للفهم الاسلامي لهذا المفهوم أو المصطلح، فضلا عن استخدام «لغة» دينية ومصطلحات فكرية غريبة عن الاسلام لا تعبر عنه ولا عن مصادره الأساسية وفي مقدمتها القرآن الكريم؛ لأن الاستشراق يرفض التعامل باللغة الدينية للإسلام وهو ما يعني غيابا لما يسميه فاخ بـ« الفهم الوصفي».

ويمكن القول: إنّ الدراسات الاستشراقية عن الاسلام ومصادره الأساسية وفي مقدمتها «القرآن الكريم» ـ لم يكن هدفها وقصدها «الفهم» بقدر ما كان هدفها «سوء الفهم» والا ما الذي يفسر نجاح الاستشراق في فهم ديانات الشرق الأقصى (الهندوسية، البوذية، الكونفوشيوسية، التاوية... وغيرها) على الرغم من أنها ديانات شديدة التعقيد تقوم على مجموعة من الأفكار والقيم الاخلاقية المتداخلة الغريبة والمعقدة، في حين فشلت في فهم الاسلام على الرغم من عقلانيته وبساطته؟؛ إذ اختفى في دراسات المستشرقين ما يسميه «فاخ» العطاء من أجل الفهم وهو العطاء الممهد للفهم، والمعبر عن الاستعداد النفسي وتهيئة العقل والقلب للفهم الموضوعي.
كما يعاني الفكر الاستشراقي في مجمله من عجز في التدريب على «الفهم»، فقد أدى غياب الاستعداد للفهم وغياب التعاطف مع الاسلام ومصادره بوصفه موضوعاً مدروساً إلى وقوع تحوير جذري في أهداف الفهم والتفسير عند المستشرقين؛ فالتعامل مع النص الاسلامي لا يقوم على أساس من الاعتراف والاحساس بالخبرة الدينية المتضمنة في النص (القرآن الكريم)، بل يبدأ الفهم لدى المستشرق من نقطة انطلاق هي خلفيته الدينية والثقافية وقيم وتعصبات وايديولوجيات فشل المستشرق في تحييدها، فهي تهيمن على تفكيره لتجذرها في عقله الباطن.
و كذلك أهملت الدراسات الاستشراقية استخدام النص (القرآن الكريم) كـ«أداة للفهم»؛ فقام المستشرق بما يمكن تسميته بـ«ليِّ عنق» النص القرآني ليخدم أهداف وأيديولوجيات المستشرق، بدلاً من ترك النص يعطي ويعبر عن المعنى أو الخبرة الدينية المعبرة عن اعتقاد المسلمين أهل القرآن، وهو ما أدى إلى خلل في فهم الاستشراق للسياق اللغوي والنصي والتاريخي والثقافي للنص القرآني، وهو ما نراه خللا «مقصودا» في الفهم؛ ذلك لأن المستشرق يمتلك من الأدوات والمقومات العلمية واللغوية التي تجعل من الصعب التصديق بأنه عجز عن فهم السياقات المختلفة المرتبط بها النص، مما يعني أنه عمد إلى «استقطاع» النص القرآني من سياقه بشكل يحقق به المستشرق أفكاره وفرضياته المجحفة بحق النص التي تتمركز ـ في معظم الأحيان ـ في رد النص القرآني إلى مصادر غير أصيلة (يهودية، نصرانية، وثنية).

فعلى الرغم من أنّ الاستشراق يتميز من اهتمامه الكبير بالنص و امتلاكه لرؤية خاصة في التعامل مع النصوص عموما ، إلا أنّ الدراسات الاستشراقية عن القرآن الكريم لم تترك النص يكشف عن مضامينه التي جاء بها ، بل إنها قامت باعادة بناء النص، بشكل لا يتورع ان يكون تعسفيا في بعض الاحيان، حيث نجد الفهم الاستشراقي بوصفه مفسراً للنص حلّ بدلا من الفهم الأصلي المعبر عنه مضمون النص في المحصلة النهائية.

ويصف بعضهم هذا التعامل الاستشراقي مع النص القرآني بـ«التصور الشامبوليوني» الذي ينظر إلى النص على أنه أثر تاريخي يحتاج إلى اعادة بناء وتنظيم وتفسير، وهي سمة للاستشراق حددت نفسها مفترضة قدرتها على تفسير النصوص.

ثانيا: الاستشراق الصهيوني والقرآن الكريم:

لا يمكن الحديث بأي حال من الأحوال عن (الاستشراق الصهيوني) من دون الحديث عن الاستشراق «اليهودي الأول » «الصهيوني الثاني » موازنة بالاستشراق «الغربي»؛ فالاستشراق في الكيان الصهيوني الحالي يمثل المستوى الجديد من تطور «المدرسة اليهودية في الاستشراق»، التي تبدأ بالاستشراق اليهودي العام، ثم الاستشراق الصهيوني الاول، وأخيرا الاستشراق الصهيوني الثاني ، مما يضيف عبئًا على الباحث في مجال الاستشراق اليهودي عموما و في الكيان الصهيوني خصوصا، ويتمثل بضرورة تمييزه لموضوعات وسمات الاستشراق وسماته عن المستويين السابقين عليه، خصوصاً و أنه ارتبط بالاستشراق الغربي من حيث إنّه وقع في أزماته ومشاكله نفسها، فتشابه وربما تماثل معه في الشبهات التي ردها إلى الإسلام ومصادره الأساسية وفي مقدمتها « القرآن الكريم».

ففي التاريخ الحديث يبدأ الاستشراق اليهودي بالتوجه نحو دراسة الإسلام والمجتمعات الإسلامية بوصفها جزءاً من الحركة الاستشراقية في الغرب، التي ظهرت مع بدايات القرن الـ١٨م، فقد احتل اليهود مكاناً مرموقاً داخل حركة الاستشراق الغربي - الأوروبي. أما الاستشراق الصهيوني فقد ارتبط - بطبيعة الحال- بالحركة الصهيونية التي ظهرت بالأساس في شرق أوروبا عام ١٨٨١ م، وهو أمرٌ ميّزه من الاستشراق الغربي من حيث إنّه أصبح له أهدافه وموضوعاته الخاصة التي تهدف -بطبيعة الحال- لخدمة الحركة الصهيونية وتأصيل الوجود اليهودي في فلسطين، ثم يأتي بعد ذلك «الاستشراق الصهيوني» مع بداية قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م بوصفه امتداداً للاستشراق «اليهودي»، ومن ثم نجد أن هناك تداخلا وتشابكا في موضوعات الاستشراق الصهيوني مع موضوعات كل من الاستشراق «اليهودي» و «الغربي».

وقد برز بوضوح «القرآن الكريم» من بين الموضوعات التي اهتم الاستشراق الإسرائيلي بدراستها والتعرض لها بالترجمة والبحث والتحليل والدراسة والنقد. وهو ما يمكن استعراضه على النحو الآتي:

و الى اللقاء في العدد القادم ان شاء الله



اعـرف عـدوك فـي الفكــر اليهــودي

كتابة : د. إيهاب شموري



من الأمور التي لا يجادل عاقل فيها أن معرفة العدو معرفة حقيقية تشمل إمكاناته المادية والمعنوية وأهدافه ودوافعه والوسائل التي يستخدمها ، هي أول الطريق لتحقيق النصر عليه . وما لم تتحقق هذه المعرفة فسيبقى العدو منتصراً يفرض شروطه ، ويسير نحو تحقيق غاياته وأهدافه .

في عام ١٩٣٤ م طبع كتاب بمصر بعنوان " يقظة العالم اليهودي " من تأليف اليهودي (إيلي ليفي أبو عسل) يحدد فيه تاريخ الحركة الصهيونية بما يلي : إذا أمعنا النظر جيداً نرى أن تاريخ الصهيونية يتناول أربعة أزمنة مختلفة : الأول زمن التوراة والثاني الزمن السابق لهرتزل والثالث الزمن المعاصر لهرتزل والرابع الزمن التالي لتصريح بلفور. ويؤكد ــ حسب زعمه ــ أن موسى عليه السلام كان أول من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية وقد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقات بعضها ببعض اتصالاً وثيقا ، ومتواثقة أجزاؤها تماسكاً محكماً شديدا.

وكتب بيجن في كتابه " الثورة " منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأبناء إسرائيل وقد سميت هذه الأرض فيما بعد فلسطين . وكانت تشمل دوماً ضفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي وجنوب غربي سورية . إن تقسيم الأرض عملية غير مشروعة ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني ، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها وإلى الأبد.

وفي خطاب ألقاه بن جوريون لمناسبة إعلان قيام الكيان الصهيوني على القسم الذي تمت سيطرة يهود عليه من أرض فلسطين عام ١٩٤٨ م قال : أما السيف الذي أعدناه إلى غمده ، فإنه لم يعد إلا مؤقتا ، إننا سنستله حين تتهدد حريتنا في وطننا وحينما تتهدد رؤى أنبياء التوراة ، فالشعب اليهودي بأسره سيعود إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد الممتدة من النيل إلى الفرات .

وفي عام ١٩٥٠ م عندما صدر " قانون العودة " علق عليه بن جوريون بقوله : ليست دولتنا دولة يهودية لأن اليهود يشكلون أغلب سكانها فقط ، إنها دولة لليهود أينما كانوا ، ولكل يهودي يرغب في ذلك . وينص هذا القانون على أن لكل يهودي أن يهاجر الينا، ويعتبر يهودياً كل شخص أمه يهودية أو اعتنقت الدين اليهودي ولا يكون له دين آخر .

في نكبة ١٩٦٧ م أتم اليهود احتلال المدينة المقدسة واستيلاءهم على القدس الشرقية ، ولم يدخلها وزير دفاعهم آنذاك موشيه ديان إلا في أعقاب دخول الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي شلومو غورين حيث أدوا صلاة الشكر عند حائط البراق الشريف وكانت الهتافات المسجلة وقتها يا لثارات خيبر تشق عنان السماء وهنا قال ديان : اليوم فتحت الطريق إلى بابل ويثرب .

ويصف إسحاق رابين رئيس الأركان يومها دخوله بيت المقدس عام ١٩٦٧ م فيقول : لقد كان احتلال القدس انتصاراً كبيراً لنا ، وفي حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ م اضطررنا إلى ترك القدس الشرقية بأيدي العدو، ومنذ اندلاع حرب يونيو كان صبرنا قصيرا ،

يجب ألا تضيع الفرصة التاريخية لقد كنت أحلم دوماً بأن أكون شريكاً ليس فقط في تحقيق قيام دولة لنا وإنما في إعادة حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية.

أما بيجن فقد إعتبر أن الرب حقق وعده .. لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها . جاء في سفر التكوين الإصحاح الخامس عشر الفقرة ١٨ : في هذا اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات.

وعندما طرح ريغان الرئيس الأمريكي مبادرته للسلام في الشرق الأوسط بعث إليه " بيجن " برسالة يعقب فيها على هذه المبادرة ، جاء فيها قوله : سيدي الرئيس إن ما يطلق عليه من قبل بعضهم الضفة الغربية هو يهودا والسامرة ، وحقائق التاريخ البسيطة هذه لن تتغير أبداً ، هنالك من يحاول الالتفاف على التاريخ ، ويمكن لهم الاستمرار بهذا الالتفاف كما يرغبون ولكني سأتمسك بالحقيقة التي تنص على أنه قبل ألفي عام كانت هناك مملكة يهودية في يهودا والسامرة هنالك سجد ملوكنا للرب ، وهنالك تنبأ أنبياؤنا بالسلام الأبدي ، وهنالك أنشأوا حضارات غنية حملناها معنا في قلوبنا وأفكارنا وفي تجوالنا لأكثر من ألف وثمانمائة سنة وعدنا بها إلى وطننا من أجل صهيون لن أهدأ ، ومن أجل أورشليم لن أسكت.

ألا يكفي هذا لإقناع بعض بني جلدتنا أن يهود إنما ينطلقون من رؤية دينية ، توراتية تلمودية وعنها يصدرون .. إن أي تحليل للتعاليم اليهودية نفسها من التوراة المتداولة التي تعلن منذ البداية متى يرتفع اليهودي إلى مرتبة الكمال بقولها : وهكذا سوف يكون عندما تصل إلى الأرض التي أعطاها الإله لك كميراث وتضع يدك عليها . أو من التلمود الذي يصرح بأن واجب كل يهودي هو أن يعيش في أرض دولتنا ، وأن هذا الواجب يعلو أي التزام آخر . بل إن الديانة اليهودية تفرض على كل يهودي فرضاً مقدساً هو أن يساعد أولئك الذين استطاعوا أن يظلوا في أرض الميعاد ، أو استطاعوا أن يعودوا إلى أرض الآباء . .

حتى في التبرعات التي لا يكل يهود ولا يملوا في جمعها وإرسالها من مختلف بلدان العالم إلى دولتهم في فلسطين ، إنما ينطلقون من وصية توراتية بأن يساعد اليهودي أخاه اليهودي.

من هنا نجد أن ثمانمائة عائلة يهودية تعيش في مدينة بورت إليزابيث بجنوبي أفريقيا يتبرعون بعشرة ملايين مارك ألماني عندما وقف بينهم لويس ماكس يحثهم على التبرع بقوله : أعطوا وأعطوا حتى يوجعكم العطاء حتى يؤلمكم العطاء . وفي باريس استطاع روتشيلد أن يجمع من النصف مليون يهودي فرنسي أكثر من ثمانية وأربعين مليون مارك ألماني لتحول إلى الكيان الصهيوني، وفي نيويورك بلغت تبرعات الستة ملايين يهودي أمريكي لصالح الصهاينة العام ١٩٨٤م خمسمائة مليون دولار أمريكي دفعوها استجابةً لطلب إدوارد جنسبارغ الذي كان يقول لهم : إخواننا اليهود يدفعون أرواحهم ودمائهم وممتلكاتهم . . يدفعون دماءهم لدولتنا . . فأقل شيء نستطيع فعله لهم التبرع بسخاء، وبسخاء لا حدود له.

عرض لكتاب الدونمة بين اليهودية والاسلام

كتابة :عدنان يوسف رجيب

كتاب الدونمة..بين اليهودية والاسلام

للمؤلف : الدكتور جعفر هادي حسن

و هو يتالف من مقدمة عامة وبابين، ويقع في ١٩١ صفحة، وقامت بنشره شركة أم بي جي العالمية - لندن

واهمية الكتاب هي في توضيح تأثير وجود و توجهات فئة معينة لحد الآن من المنظمات في الحياة العامة لتركيا وما جاورها.

والفكرة العامة للكتاب هي عرض لتاريخ فرقة الدونمة، التي نشأت اساسا على فكرة الايمان بالمسيح المُخلّص في اليهودية، وهي فكرة هامة جدا في تراث اليهود، حيث تمتلئ صلواتهم بالاشارة الى الأمل المسيحاني. علما إن المسيح المُخلّص غير مذكور بشكل صريح في التوراة. وقد ادعى الكثير من اليهود بأنه هو المسيح المُخلص.

والدونمة هي كلمة تركية أطلقها المسلمون الاتراك على أتباع " شبتاي صبي" الذين تظاهروا بالاسلام، كما تظاهر هونفسه بذلك. حيث إن "شبتاي صبي" هو واحد من أهم الذين ادعو بانهم المسيح المُخلص، وهو مؤسس فرقة الدونمة .

وهذا الكتاب هو لتبيان تاثير الدونمة بالحياة السياسية والإقتصادية التركية وما حولها من مناطق، بضمنها العراق، في حقب مديدة من التأريخ.

ومن الخطوط العامة لتأثير الدونمة هو وجود نواحي غائبة عن شعوب المنطقة، منها:

لقد اكد كثير من يهود سالونيك، إن مصطفى كمال أتاتورك، كان أصله من الدونمة

وكان اطلان أويمن من الدونمة، وهو صحفي معروف، وترأس حزب الشعب الجمهوري في تسعينات القرن الماضي. كذلك من الدونمة إسماعيل جم وزير خارجية تركيا

في المدة من (١٩٩٧ م الى ٢٠٠٢ م).

و في عام ٢٠٠٠ م أصدر محمد شوكت أبجي كتابا، جاء فيه أن عدة آلاف من الدونمة يسيطرون على شؤون البلد التركي. وكذلك الكتاب الذي اصدره صونر يلجن عام ٢٠٠٤ م، ويبين فيه إن الشبتائيين (الدونمة) هم حقيقة قائمة في تركيا ، ولا يمكن أن يكتب التأريخ التركي بدونهم.

و في مقدمة كتاب الدونمة ، عرض لتاريخ بعض اليهود الذين إدعوا بانهم المسيح المُخلص قبل شبتاي صبي. حيث يتم استعراض افكار و حياة هؤلاء الذين ادعوا بأنهم المخلصون، أو إنهم الممهدون للمخلصين. وكان من هؤلاء: داوود الراؤوبيني (في القرن السادس عشر)، وقد إدعى بأنه من أحفاد سليمان بن داود، وكان يبشر بخلاص اليهود واخذ فلسطين من المسلمين. كما بشر بظهور المُخلص، الحاخام ابراهام اليعازر هليفي، الذي قال سيظهر المسيح عام ١٥٣٠م إعتمادا على التوراة والتلمود والزهر. ثم إدعى سلومون ملخو المقيم في البرتغال بأنه المسيح لليهود، إلا أنه هرب منها ، حيث إدعى بأنه تلقى امرا الهيا بالخروج من البرتغال.

و أهم هؤلاء المُخلّصين كان شبتاي صبي، (مؤسس فرقة الدونمة). ولد عام ١٦٢٦م، في أزمير التركية من ابوين يهوديين. وارسله ابوه الى المدارس الدينية، وقبل ان يبلغ شبتاي صبي العشرين من عمره أصبح حاخاما، وتولى التدريس.

ودرس شبتاي صبي القبلاه وحده، (والقبلاه: علم مواضيع القضايا الصوفية والتاويلات الباطنية المعتمدة على المعتقدات اليهودية..... ولاتباع القبلاه

نظرة خاصة بالنسبة لنشوءالكون). وتزوج شبتاي مرتين، لكنه لم يقرب زوجتيه في الفراش، وتم إتهامه بأنه رجل غير طبيعي، (ولكنه كان يجيب عن حالته، بأن زواجه من المرأة لم يحن بعد، وإنه كان يصارع قوى الشر والشياطين). و في صباه كان يعاني من حالة نفسية لازمته كل حياته.

حيث لمح الى المقربين منه، بانه سيحقق اشياء عظيمة في المستقبل، وفي أحد الايام، قال لطلابه بأنه هو الذي سيكون المسيح المُخلّص لليهود. وقال شبتاي لأحد الحاخامين، انه هبط عليه الروح القدس، وسمع صوت الله يقول له: انت مُخلص اليهود، (وجامعهم من اركان الارض الاربعة الى اورشليم).
وسمع الحاخامون بهذا الادعاء، فاثار حفيظتهم، وغضبهم، واستدعوا شبتاي، إلاّ أنه رفض الإستجابة لهم. و لهذا اصدروا امرا بطرده من اليهودية، ودعا قسم منهم الى قتله، لأن شبتاي، بنظرهم، سيقود اليهود الى الضلال ويبتدع دينا جديدا.
وغادر شبتاي أزمير في بداية خمسينات القرن السابع عشر، الى سالونيك، التي فيها جالية يهودية كبيرة. وأستمر شبتاي في سالونيك على سلوكه في مخالفة الشريعة اليهودية، وفي احدى اللقاءات مع الحاخامين، جاء شبتاي بنسخة من التوراة واخذ يقوم بمراسيم عقد الزواج بينه و بين التوراة، واثار هذا العمل غضب الحاخامين.

وكان يقول انه المسيح المُخلّص، وله الحق في نطق اسم الاله يهوه. ولم يحتمل الحاخامون ذلك، فإستصدروا أمرا قضائيا من المحكمة باخراجه من سالونيك. وذهب شبتاي الى اليونان والتقى الجاليات اليهودية هناك، ثم رجع الى القسطنطينية في تركيا، وتعرف على اليهود الكثيرين فيها. وكان اليهود قد استقبلوا شبتاي بشكل جيد في البداية، ثم تغيرت نظرتهم له بعد أن رأوا غرابة سلوكه، ومنها انه إحتفل باعياد يهودية ثلاثة في اسبوع واحد. كما أعلن عن إلغاء بعض احكام التوراة، وأكل بعض الطعام المحرم. وكان شبتاي يستشهد على ذلك بنصوص من التوراة. و خشي الحاخامون في هذه المدينة مما يقوم به شبتاي و اعتبروا ذلك بداية انشقاق في اليهودية، فأصدروا حكما جديدا بطرده من اليهودية، وحرموا الاتصال به. فغادر الى أزمير. وكان يعيش في ضيق وتعاسه، ثم عزم السفر الى فلسطين لقضاء بعض الوقت.فغادر أولا الى مصر وتعرف فيها على الرئيس الثري للجالية اليهودية رفائيل يوسف جلبي. واجرى شبتاي مع رجال الدين مناقشات و مطارحات في الفقه اليهودي والقبلاه، حيث اقروا له بالعلم بذلك.

ثم توجه شبتاي الى أورشليم، وانضم الى احدى المدارس الدينية. وكان يعتكف في غرفته لمدة طويلة، حيث يمارس القبلاه العملية مع نفسه. و ألتفت مجموعة من اليهود حول شبتاي متاثرة به وبافكاره. وتعرف شبتاي على المرأة الجميلة سارة وتزوجها. وكانت سارة تثيرأقوال كثير من الناس، بالنظرلسلوكها الغريب مع الرجال، كما كانت تتنبأ بمستقبل الناس، وتقرأ طوالعهم، وتقول ان ملاكا قد ظهر لها وأخبرها



الدكتور جعفر هادي حسن

بأنها ستكون زوجة المسيح المُخلص. وكان شبتاي قد تزوجها تقليدا للنبي هوشع (وهوشع هو أول من كلم الرب). كما يدعي اليهود، وتم الزواج، في قصر رفائيل جلبي، بإحتفال تميز من الابهة والبذخ.

وتعرف شبتاي على الحاخام ناثان إشكنازي الغزي، الذي له معرفة عميقة بالقبلاه، حيث ياتيه الناس ليكشف لهم عن أمراض نفوسهم. وكان شبتاي يريد ان يعرض حالته النفسية على ناثان ليصلحها. ومنذ اللقاء الاول ارتبط الاثنان بعلاقة روحية قوية. واصبح ناثان، وعمره إثنتان وعشرون سنة، نبي حركة شبتاي، والمدافع عنها والمنظر لها، وأطلق عليه في الكتاب " ناثان المتنبئ". وقال ناثان، إن شبتاي يملك نفسا في منتهى العلو والسمو، وانه في الحقيقة هو المسيح، بناء على رؤيا رآها ناثان عن شبتاي.
ويبدو ان ناثان المتنبئ قد اقنع شبتاي بأن الوقت قد حان ليعلن للعالم انه المسيح. ومن جانبه، قام ناثان بواجبه، حيث دعا مجموعة من طلاب الشريعة وبعض الحاخامين، في عيد الشفعوت اليهودي، لدراسة التوراة، وأثناء الدراسة نام ناثان، ثم نطق: اعتنوا بابني المحبوب ومسيحي شبتاي صبي، واعتنوا بابني ناثان النبي.... وقال للحاضرين، ان شبتاي هو الملك وهو المسيح المُخلص. و ازداد ناثان في توجيه الناس على ان شبتاي هو المسيح المُخلص، ولكن لم يسأل اي من الحاخامين والعلماء ناثان عن هذا الشيئ الذي وضعه هو بنفسه. وعلى اثر ذلك اعلن شبتاي، رسميا، انه المسيح، وذلك في نهاية مايس ١٦٦٥م. ويعتبر اعلانه هذا من الاعياد المهمة عند الدونمة، لأنه بداية مهمة شبتاي المسيحانية. وشاع خبر شبتاي المسيح بين الناس، و صرح ناثان أن على الناس ان يعلنوا توبتهم، و وضع تعليمات للتوبة في النهار و تعليمات للتوبة في الليل. واخذ الناس يتوبون، حيث يؤذون انفسهم للتدليل على التوبة. وكانوا يأتون الى ناثان ليتوبوا على يديه. وكانوا كثيرين حتى أن الشوارع والأزقة لم تكفيهم. وقال معاصر لهذه الأحداث: كانت هناك توبة حقيقية من الناس لم ير مثلها على الإطلاق، منذ أن خلق العالم. وكان بعضهم يموت من إنبطاحه على الثلج.

وكان كنيس غزة يزدحم باليهود حاملين الشموع و هم يقرأون التواشيح، متوقعين لشبتاي ان يكون ملكا. وكان بعض الحاخامين يأتون الى غزة لرؤية المتنبئ ناثان، ومنهم شالوم بن يوسف الذي قال عن ناثان: إن الناس يأتون من بعيد ليستمعوا لحكمته، حيث انه يتكلم بروح إلهية. وأمر ناثان المتنبئ الناس ان لا يرسلوا نقودا الى الحاخامين المعارضين لشبتاي. واعلن شبتاي إنه سيقدم الاضاحي في أورشليم، ولكن الحاخامين إستنكروا ذلك. و حلل شبتاي لأتباعه بعض محرمات الشريعة اليهودية، والغى صيام تموز. وإشتكاه الحاخامون للقاضي، وقالوا عن شبتاي، إنه رجل طالب حكم، وإتهموه بسرقة بعض الأموال. وكتبوا الى حاخامي غزة يحذرونهم من تصديق شبتاي. وكذلك اصدروا قرارا جديدا بطرده من اليهودية، وطرده من المدينة. وكتب رئيس الحاخامين يحرض على قتل شبتاي، لأن شبتاي نشر كثيرا من البدع.

وكان كثير من الحاخامين ضد شبتاي، بينما كان قسم آخر معه مثل الحاخام صموئيل فريمو.
واضطر شبتاي الذهاب الى صفد. وأخذ الكثير من اليهود يصدقون أن شبتاي هو المسيح. و سافر الى مدن عدة، منها دمشق حيث احاط به كثير من المؤمنين به، ومنهم صموئيل فايتال الذي اصبح من أتباعه. وذهب الى حلب، فلقي من اليهود الحفاوة والتكريم، بما يليق بالملوك الفاتحين. وصار كثير من اليهود يقولون عبارة: شبتاي صبي مخلصنا، ويغمى عليهم، وحصل ذلك للحاخام موسى غلانته. وكان

شبتاي يجتمع بالحاخامين في المدينة و يحاول ان يقنعهم بأنه المسيح المُخلص الموعود. ثم غادر الى أزمير، واصبح شبتاي ذا شعبية كبيرة فيها بين عامة اليهود. وكان المتنبئ ناثان يؤكد لأتباعه بأن شبتاي سيقود السلطان العثماني أسيرا.

ولما كان شبتاي قد أصبح المسيح، فهو الملك، وهذا يتفق والفكر الديني اليهودي، فالنبي عندهم هو الملك ايضا. ولما وصل شبتاي الى أزمير خرج اليهود الى الشوارع ينادون عاش ملكنا عاش مسيحنا، وهكذا كان الدعاء له في المعبد اليهودي. وكانت رسالة المتنبئ ناثان لها مدلول كبير في التصديق العام بين اليهود لأدعاء شبتاي إنه المسيح وإنه الملك. وفي رسالة أخرى قال ناثان فيها، ان المسيح إبن داود و شبتاي، سيستلم الملك من حاكم الاتراك، من دون حرب، وبالاغاني ومدائح الرب، وسيضع حاكم الأتراك نفسه بين يدي شبتاي.

وقسم شبتاي اقطار الأرض، وعين لها ملوكا من اليهود. وكان شبتاي يوقع رسائله بالقاب عظيمة، مثل (إبن الله البكر)، و (أبوكم إسرائيل)، وكذلك (أنا الرب إلهكم شبتاي صبي). وظهرت ردود أفعال سلبية ضد هذه الألقاب من المعارضين لشبتاي، ولكنهم لم يستطيعوا شيئا. ومضى أتباعه يشيرون له بعبارة: سيدنا، وملكنا الجليل.

وأخذ شبتاي يعد اليهود بالسلطة، وبالثأر من أعدائهم. وبتحقيق دولتهم. ومن رسائله لأتباعه، كان يقول فيها: من الأبن الوحيد إبن الله البكر شبتاي صبي المسيح المُخلص، الى كل بني أسرائيل: سلامي لكم.... لتكن أحزانكم سرورا ، و صيامكم أعيادا، لأنكم سوف لا تبكون بعد هذا، لآني قد ظهرت يا أبنائي يا بني أسرائيل.

ويستمر شبتاي صبي، في تعظيم نفسه و وعد اليهود بالسعادة والسرور، عن طريقه هو، كونه المسيح المُخلص. ثم يقول لليهود: أجعلوا الحزن فرحا في يوم ظهوري، ولا تخافوا شيئا، فستكون لكم سلطة على كل الشعوب. وجاء في رسالة المتنبئ ناثان الى رفائيل جلبي: على كل يهودي أن يؤمن بأن شبتاي صبي هو المخلص الحق، وبفضله أستحق هذا الجيل أن يرى بداية الخلاص الذي إنتظرناه طيلة ألف و ستمائة سنة، وسيكون اليهود أسيادا، وستمتثل الشعوب لهم، حيث يقفون خدما مرتجفين لليهود. وصارأتباع شبتاي ينظرون الى المسيحيين بعين الإحتقار.

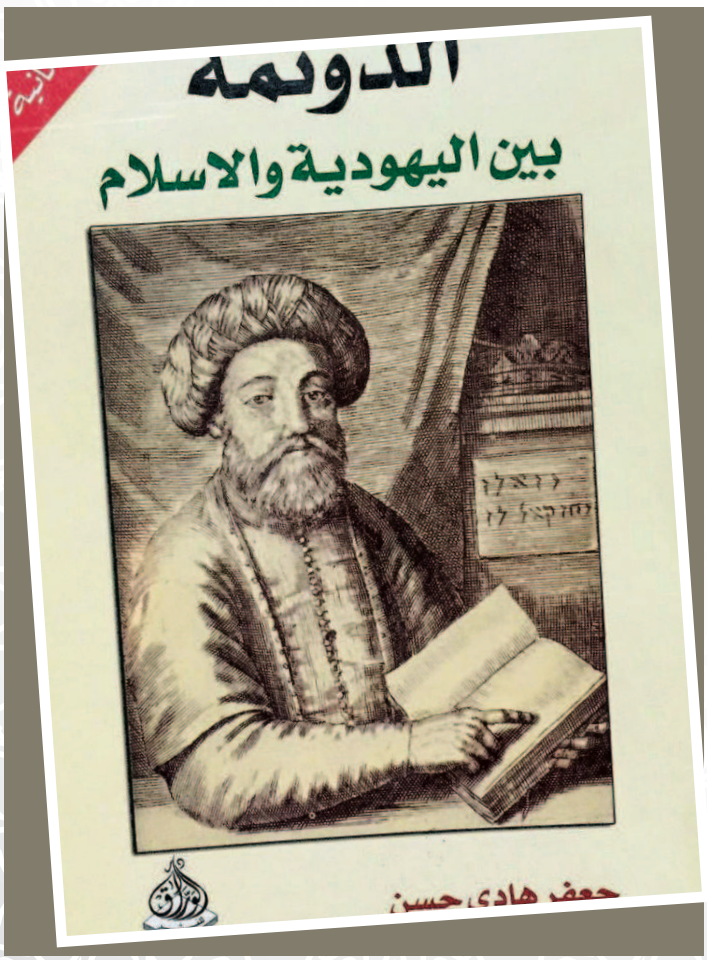

ومن مظاهر احتفال اليهود بظهور المُخلص، ان أتباع شبتاي المصدقين بأنه المسيح المُخلص، يحتفلون في كثير من المدن داخل تركيا وخارجها. وكانوا في تركيا يخرجون ليلا حاملين الشموع منادين باسم شبتاي و هم يقرأون الزمور. وأخذ بعضهم يتهيأ للذهاب الى فلسطين. وإحتفل اليهود في هامبورغ كذلك وهم يلبسون احسن الملابس مع شعار شبتاي صبي. وباع بعضهم ما يملكون وكانوا ينتظرون يوم الخلاص. وفي امستردام وكانوا يرقصون، وتسمع أخبار شبتاي من دون خوف من المسيحيين. وفي بولندا خرج اليهود في مظاهرات فرحين ويحملون صور شبتاي، وغضب المسيحيون من ذلك وهاجموا اليهود، ومنع الملك يوحنا حمل صور شبتاي.

وكان هناك المئات يحيطون بشبتاي حينما يذهب الى الكنيس، ويترنمون بالمزامير، ويحملون العطور والزهور، وشبتاي يبارك للناس. أما زعماء الجماعة اليهودية في هامبرغ فقد قرروا أن يبيعوا ممتلكاتهم و يتهياوا للرحلة الى فلسطين. وارسلت هذه الجماعة اليهودية رسائل فيها عبودية لشبتاي وتذلل له، و فيها يقولون: نأمل من سيدنا و ملكنا أن يخبرنا أي طريق يجب أن نسلك، من أجل أن نسجد عند قدميك وننفض التراب عنهما، وقد وقع هذه الرسالة عدد من علماء اليهود.

وفي بلدان أخرى و منها اليمن ، عم الفرح والسرور الجاليات اليهودية، الذين صدق كثير منهم أخبار شبتاي. وأخذوا يبشرون بعضهم الآخر، بأن الخلاص أصبح قريبا، وقاموا ببيع عقاراتهم وتوقفوا عن العمل، من أجل الذهاب الى فلسطين. إلا أن أمام اليمن انزعج من ذلك وأمر بمعاقبه اليهود، و أجبر الرجال منهم أن يخرجوا حاسري الرؤوس، وأن تحلق النساء اليهوديات رؤوسهن، وأمرهم بأكل طعامهم جلوسا في الأرض، و مع ذلك فإن اليهود إستمروا بإحتفالاتهم.

كما أن يهود تونس أخذوا يحتفلون و يهيئون انفسهم للذهاب الى فلسطين. وحصلت أحتفالات مشابه في مراكش وبلاد المغرب، وكان ناثان المتنبئ يخبر الحاخامين بما يحدث. وشاع ان أتباع شبتاي يعتقدون أن خلاصهم سيكون في سنتين، حسب ما ذكره ناثان، حيث ينتظرون التغيير العظيم، وذكر جاليو توفسكي في كتابه (المسيح الحق) لقد ترك اليهود بيوتهم وأموالهم، ورفضوا القيام بأي عمل، وإدعوا بأن المسيح سوف يأخذهم الى أورشليم على السحاب. وكان ناثان و شبتاي يحثان المؤمنين بهما على إصلاح حالهم والتوبة. وعمت توبة اليهود كثيرا من البلدان، منها الأسكندرية في مصر وحلب في سورية. وتوقف اليهود عن أعمالهم و وضعوا ترابا على رؤوسهم تأكيدا على التوبة والندم. وفي أيران خرج اليهود الى الحقول و تركوا بيوتهم وأعمالهم واكثروا من الصلاة، و ظلوا ينتظرون وقت الذهاب الى أورشليم مع مسيحهم، ولكن شيئا من ذلك لم يحصل ، وكان عليهم أن يدفعوا أضعاف الضرائب التي عليهم.

وبعدها، اعلن شبتاي بأنه سيغادر أزمير الى القسطنطينية، مدعيا إن الرب قد دعاه لإكمال مهمته. ولا يعلم أحد دواخل شبتاي في سلوكه هذا، حيث إن شبتاي كان يفكر تفكيرا غير معقول، وحساباته خاطئة وأوهامه كثيرة. وحينما وصل شبتاي الى العاصمة التركية، أرسل الصدر الأعظم العثماني فاضل أحمد كوبرلو مجموعة جنود لسجنه. وقال شبتاي للضابط الذي قبض عليه، بأنه حاخام من أورشليم جاء لجمع الصدقات لفقراء اليهود في فلسطين. لكن تم سجن شبتاي. بينما أتباعه، مع ذلك، إحتفلوا بقدومه، وإعتبروا سجنه جزء من المعاناة قبل أن يتحقق مجده وعظمته لجميع البشر. و اخذ اليهود يزورونه في السجن ويظهرون له التبجيل. وكان شبتاي يعد الوافدين بالنصر. و في هذا السجن،

قرر شبتاي بعض التشريعات الجديدة ، منها إلغاؤه بعض أيام الصيام المهمه عند اليهود. و صار الأغنياء يغدقون عليه الأموال الكثيرة، و في السجن التحقت به زوجته وكاتبه. وكان هناك حاخامون معارضون لشبتاي، ويعتبرونه دجالا، وأن إدعائه خروجا على اليهودية ويضر بمصالح اليهود. وكان معارضو شبتاي يخافون مجابهته ، لأن أتباعه لهم عددهم كثير وتأثيرهم كبير. إلا أن بعض الحاخامين لم يكف عن تكذيب إدعاء شبتاي، وكتب حاخامو القسطنطينية الى رئيس حاخامي فلسطين يخبروه فيها عن خطر حركة شبتاي على اليهود. وقالوا لرئيس الحاخامين، إنهم لم يروا معجزة أو علامة خارقة للعادة يعتمد عليها. وطلبوا من رئيس الحاخامين أن يذهب الى ناثان المتنبئ و يطلب منه تثبيت إدعاء شبتاي على وفق التوراة أو التلمود. و قرر نحميا كوهن، و هو حاخام بولندي، مناقشة شبتاي في موضوع المسيح المُخلص و شروط ظهوره، وبعد النقاش، تبين الى كوهن، أن ما ذكره علماء اليهود لا ينطبق على شبتاي من أنه المسيح المُخلص. ثم إدعى كوهن أنه هو المسيح إبن يوسف. وتم إتهام كوهن بأنه عدو للمسيح. وخشي كوهن أن يصيبه مكروه مثل الحاخامين الآخرين، لذا أظهر كوهن إسلامه أمام حرس القلعة، (لكنه رجع الى اليهودية فيما بعد). و هكذا يبدو أن كوهن قرر إفساد الأمر على شبتاي، عندما تقدم الى السلطان للإبلاغ عن شبتاي. ويقال إن كوهن نحميا قال للسلطان عن شبتاي، رجل فاجر يحاول أن يغير من حياة اليهود ويشجعهم على الثورة ضد الدولة. فأمر السلطان أن يؤتى بشبتاي الى أدرنه (ولكن أتباع شبتاي إعتقدوا بأن شبتاي سيستلم الحكم من السلطان ؟!).

وقضى شبتاي في أدرنة ليلة تحت الحراسة، وعندما تم أخذه الى القصر بدا مذعورا مرعوبا، وقال لأصحابه: يا رب ما الذي عملته، وأنا خائف. وتعجب المصاحبون له من كلامه، وهو الذي إدعى إنه المسيح المُخلص و ان سقوط الدولة العثمانية على يديه. وتم إدخال شبتاي وأصحابه الى غرفة، وكان فيها مسؤولون و شيخ إسلامي، وكان السلطان يجلس وراء حجاب. وطلب السلطان أن يرمى شبتاي بالسهام، فإن لم تؤذ جسمه فيكون السلطان أول المصدقين به، وإن آذته السهام، فهو رجل كاذب ودجال. وما ان سمع شبتاي ذلك، حتى انكر أن يكون قد إدعى بأنه المسيح، وقال إنه مجرد حاخام يهودي فقير ليس له مزايا على غيره. لكن السلطان لم يقبل منه ذلك، وفي أنه كان يريد إثارة القلاقل في الدولة العثمانية، ولذلك يجب أن يعاقب. ولكن طبيب السلطان إقترح على شبتاي أن يعلن إسلامه ليسلم من العقاب. فوافق شبتاي على إعلان إسلامه، وقال أنه كان يفكر بذلك منذ زمن. وأظهر شبتاي إسلامه أمام الحاضرين، وقبل السلطان ذلك. ثم اجريت الشعائرالأسلامية عليه، وأعطي الإسم محمد أفندي. وأعلنت زوجته الإسلام كذلك.

وإنتشر خبر إظهار شبتاي لإسلامه بين اليهود والأتراك. وأصبح أتباعه من اليهود إضحوكة من قبل الآخرين، وسخر الناس منهم. و ما حدث كان صدمة وهزة كبيرة لأتباعه. فإرتد عنه قسم كبير منهم وكفروا به، بل أن بعضهم إرتد عن اليهودية. ولكن ناثان المتنبئ وفريمو كاتب شبتاي، كانا يعطيان تفسيرات و حججا لما حدث، باعتبار ذلك سرا من الأسرار العميقة. ومن التفسيرات، إن روح شبتاي وجسمه قد صعدا الى السماء، وبقي ظله يمشي في الأرض. و تنفس الصعداء الحاخامون المعارضون ، وكتبوا الى الجالية يقولون فيها، نشكر الله على خلاصنا وتدخله لدرء الخطر الذي كان يحدق بحياتنا. وطلبوا من الجاليات اليهودية الأخرى إلغاء ما شرعه شبتاي، ومعاقبه من يستمر على الإلتزام بذلك. واخذ الحاخامون الذين صدقوا شبتاي، يعبرون عن ندمهم. وقام هؤلاء النادمون بحملة ضد ناثان و ضد شبتاي.

الباب الثاني - عن فرقة الدونمة:

والدونمة كلمة تركية اطلقها الأتراك المسلمون على أتباع شبتاي الذين تظاهروا بالإسلام. التي تعني المتحولين من دينهم أو المرتدين عنه. واليهود يطلقون على الدونمة (مينيم)، وتعني بالعبرية'منشقين (عن طائفة ما أو خوارج). والدونمة يطلقون على أنفسهم تعبير (مئامنيم)، وتعني بالعبرية مؤمنين بـ (شبتاي صبي). ويعتبر الدونمة أنفسهم مجموعة مختارة متميزة، لأنهم تابعوا شبتاي في تظاهره بالإسلام، وتشرفوا به.

وعقيدة الدونمة غريبة، حيث إن أتباعها يلتزمون ظاهرا الإسلام و هم لا يؤمنون به، وباطنا يؤمنون بمعتقدات لا يظهروها للناس.

ويفسر علماء الدونمة إظهار شبتاي الإسلام، على أنه خطوة مقدمة لخلاص اليهود. وكما يقول ناثان، أنها من أجل إنقاذ اليهود.

وظلت عقائد الدونمة ردحا طويلا من الزمن سرا من الأسرار، لا يعرفه إلاّ هم. وبسبب أن الدونمة كانوا يؤدون شعائر المسلمين ويستعملون الأسماء الاسلامية، فكان الناس لا يميزون بين الدونمة وغيرهم من المسلمين. وبقي الدونمة مدة ٢٥٠ سنة، يعيشون حياة مزدوجة. وفي بداية القرن العشرين، بدأت أسرار فرقة الدونمة تتكشف، بوساطة حصول بعض الباحثين على كتبهم التي تضم عقائدهم و تعاليمهم. وعقيدة الدونمة تتركز أساسا في شبتاي صبي، فهو المسيح المُخلص، والتقاليد والأعياد تتركز في شخص شبتاي.

ولقد وضع أصول عقيدة الدونمة شبتاي نفسه، ومنها ما جاء فيها: أؤمن بإله واحد و بمسيحه المُخلص الحق، شبتاي صبي، وتبدأ بالقسم بالألتزام مبادئ المسيح شبتاي، وفي قراءة مزامير داود، وتطبيق دين الأتراك، والفرد من الدونمة يقول: لكي لا أثير شكوكهم. كذلك لا اجبر أحدا على إعتناق الأسلام، ولا أتزوج من مسلمة. كذلك أؤمن إيمانا مطلقا بأن شبتاي صبي، له جلاله، وسيجمع شتات اليهود من كل أطراف الأرض. والأموات سيبعثون و سيعيشون. وغيرها من المعتقدات، التي فيها الكثير من رفع لشأن شبتاي. مثل إن الكون قد خلق من أجل الدونمة، والمسلمون مخلوقات لأجل حفظ الدونمة. والبشر غير اليهود هم ليسوا مهمين و لا قيمة لهم.

ومن تعاليم الدونمة وتقاليدهم ، إنهم يظهرون معتقدا و يخفون آخر. لكن العبادة الحقيقية تكون في معابدهم الخاصة بهم. وصلاة الدونمة تشبه صلاة اليهود، ولكنهم يبدلون العقائد الثلاثة عشر بعقيدتهم عن شبتاي. ولعضو الدونمة إسمين، أحدهما ظاهري بين الناس، والآخر بين أفراد فرقته. ولا يتزوجون إلاّ فيما بينهم. ويعتقدون بأنهم وحدهم الذين يبعثون يوم السبت يوم القيامة ويدخلون الجنة، أما المسلم فإنه يجب أن يتناسخ أربعين مرة، ولا يذنب حتى يستحق دخول الجنة.

ومن عادة الدونمة انهم يقفون صباح كل يوم إنتظارا لقدوم شبتاي. كذلك يهتمون بدراسة رسالة ألفها شبتاي عنوانها (سر العقيدة). وإذا أباح الدونمي باسرار فرقته فإنه يستحق الموت لخيانته.

و ظهرت خلافات بين أعضاء الدونمة بعد موت شبتاي، بخصوص من هو الممثل الشرعي بعد شبتاي، منها:

١) اليعقوبيون نسبة الى يعقوب قريدو، وقد إدعت أخت يعقوب إن شبتاي قال لها في المنام إنه تبنى يعقوب.

٢) الأزميرون، (نسبة الى مدينة أزمير)، ويطلقون على أنفسهم الفرسان (أو الأشراف)، وإنهم أتباع شبتاي الأوائل. وكان كثير منهم محامين و معلمين ومهندسين.

٣) القره قش، وهذه المجموعة تزعمها مصطفى جلبي، وقد إنشقت من الأزميريين ومن اليعقوبيين ايضا. ثم تزعمها آخرون بعد وفاة جلبي.

و يحتفل الدونمة بأعياد كثيرة في السنة، وأغلب

الأعياد تتعلق بأحداث لها علاقة بالمؤسس شبتاي صبي.

ومن مظاهرالدونمة ان شبتاي، قد تظاهر بالإسلام، إلاّ أنه لم يكن مسلما له عقيدة صادقة. فشبتاي لم يترك الشعائر اليهودية، بل كان يؤدي الكثير منها. فكان يحيي رأس السنة اليهودية، ويصوم يوم الغفران، وغير ذلك. ورفض أن يكون عقد زواجه حسب الشريعة الإسلامية. ولذلك كانت التحقيقات، في تركيا، تجري بين وقت وآخر بشأن سلوك الدونمة. ولكي يؤكد الدونمة صدق إيمانهم بالإسلام، بنوا جامعا ضخما في سالونيك. ولكن مع ذلك لم يصدقهم العلماء المسلمون. ومن أدلة المسلمين على عدم صحة اسلام للدونمة ، عدم ذكر الإسلام في أدبياتهم، وعدم لجوئهم للمحاكم الشرعية الإسلامية. وتأكد بأن الدونمة كانوا على إتصال بالحاخامين لمدة طويلة.

وعن تأثيرالدونمة بالحياة في تركيا الحديثة: تواجدهم في تركيا، باعتبارهم من رعاياها (وهم الدومنة)، الذين اجبروا على مغادرة سالونيك، في عام ١٩٢٣م. وإستقر قسم منهم في إسطنبول ومدن أخرى. وكان عددهم حوالي عشرين ألفا. وكانوا منذ البداية لهم دور في الحياة السياسية والإقتصادية في تركيا. كذلك، و صارلهم تأثير سياسي في جمعية الإتحاد والترقي، التي قادت الإنقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني. و استمر تأثير الدونمة في تركيا لحد الآن سواء في القرن العشرين، وما بعده. و من اليهود الذين لهم دور في جمعية الإتحاد والترقي، عمانوئيل كراسو، (كان عضوا في مجلس الأمة التركي)، و هو الرئيس الأكبر للمحفل الماسوني، وتدخل في نشاط رجال تركيا الفتاة، لجعل النفوذ اليهودي مسيطرا على الأوضاع في تركيا. وبدأ الناس يقولون ان الحركة هي حركة يهودية اكثر مما هي ثورة تركية. وبالنسبة لجمعية الإتحاد والترقي، فقد كانت تحت سيطرة الحركة الماسونية و اغلبهم من اليهود، و تآمروا على السلط العثمانية و كانت القوة العاملة منهم من بين الضباط وجندهم ، اما تخطيط و التنفيذ فكان في أيدي الموسويين، وهم الذين ساهموا بدفع الأموال لمشروع الانقلاب . وبعد تنفيذ المشروع، شارك اليهود مع الضباط في دست الحكم.

وقد إستغل كراسو نفوذه، ليصبح من أثرياء تركيا، و ساءت علاقته بمصطفى كمال أتاتورك، فحجز اتاتورك على امواله. ومن اليهود المعرفين عمانوئيل رسام، محام من سالونيك، أصبح بعد الإنقلاب في تركيا عضوا مهما في مجلس الإصلاح القانوني، الذي وضع اسس القانون لجمهورية تركيا الحديثة بدلا من مجلة الاحكام العدلية التي كانت من الفقه الإسلامي. و غير ذلك من القوانين .

و مصطفى كمال أتاتورك نفسه ينسب الى الدونمة حسب مصادر عديدة. ومن هذه المصادردائرة المعارف اليهودية، التي جاء فيها: لقد اكد كثير من يهود سالونيك، إن كمال أتاتورك، كان أصله من الدونمة، وهذا أيضا رأي الأسلاميين المعارضين له، ولكن الحكومة العلمانية تنكر ذلك. وما يؤيد كون كمال اتاتورك هو من الدونمة، ما جاء في كتاب " اليهود السريون"، حيث يذكر الكتاب، أن كمال اتاتورك كان من بين أعضاء الثورة التي أنشأت حكما جديدا في تركيا. وحاول اعداؤه إستغلال خلفيتة الدونمية لإزاحته من زعامة الحكم الجديد، لكنهم لم يتمكنوا.

لذا كان تأثير الدونمة على جمعية الإتحاد والترقي مثل تأثير اليهود عليها. وكتب عنها، إن الدونمة التي بقيت لقرنين مجهولة عند الناس، أصبح لها دور سياسي بارز في تركيا الحديثة، وذلك بوساطة اعضائها البارزين في لجنة الإتحاد والترقي. وكان من سياسي الدونمة البارزين محمد جاود بك، الذي هو من أبرز قادة جمعية الإتحاد والترقي، واصبح وزيرا للمالية ثلاث مرات، لحد عام ١٩١٨م. وقد إتهم بقيادة

المعارضة ومحاولة إغتيال كمال أتاتورك. واعدمه أتاتورك، عام ١٩٢٦م، على الرغم من التوسط و طلب العفو من زعماء كثيرين. وكان رئيس جمعية الإتحاد والترقي في أسطنبول، أقوى فروع الجمعية، هو ماسوني من الدونمة. كما كان من الدونمة المصرفي الممول لجمعية الإتحاد والترقي محمد قبانجس، الذي كان رئيس بلدية سالونيك. و من الدونمة رمزي بك، و هو أحد قواد الجيش، وفيما بعد اصبح رئيسا لمساعدي السلطان محمد رشاد. وكان الطبيب توفيق رستو آراس من أعضاء الدونمة الذي كان له دور سياسي بارز، وكان عضوا في وزارة كمال أتاتورك، وعمل وزيرا للخارجية حتى عام ١٩٣٨م. وكذلك الوزيرمصطفى عارف و الوزير نزهت فائق، كانا من الدونمة. و من نساء الدونمة النشيطات في جمعية الإتحاد والترقي، خالدة أديب وهي كاتبة واديبة، نشرت الكثير من المقالات والكتب، وكانت من أكثر الأعضاء نقدا لحكم السلطان عبد الحميد، ولها تأثير بمصطفى كمال أتاتورك. وكذلك صبيحة سرتل، كانت من الدونمة، و هي أول امرأة أمتهنت الصحافة، وأخذت تدافع عن حقوق المرأة.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، وما بعده، كان أحمد أمين يلمان من الدونمة، وهو صاحب كتاب " تركيا في أيامي" و " تركيا في الحرب العظمى". وكان رئيس تحرير صحيفة وطن، التي عرفت بدفاعها عن الدونمة. كما كان رئيس تحرير صحيفة " مليت" عبدي أبكجي من الدونمة، و قد اغتيل عام ١٩٧٨م. كما هناك أخرون يصدرون الصحف وهم من الدونمة. وأتضح أن رحشان أرال، زوجة رئيس تركيا بلند أجويد كانت من الدونمة، وأصبحت رئيسة حزب الشعب الجمهوري. كما كان اطلان أويمن من الدونمة، و كان صحفيا معروفا، و ترأس حزب الشعب الجمهوري في تسعينات القرن الماضي. كما كان من الدونمة إسماعيل جم وزير خارجية تركيا في المدة ١٩٩٧م – ٢٠٠٢ م. و ما زالت هناك عوائل معروفة هي أصلا من الدونمة. و عام ١٩٩٦ م أسس الدونمة في تركيا جامعة لهم ، تضم عددا من الكليات اسمها " أشك".

و أعضاء الدونمة يحاولون أن يعطوا صورة للناس بأن الدونمة قد إندثرت، أو إنها لم تبق كما كانت سرية معزولة. وبالنسبة لنظرة المجتمع للدونمة، تذكر باحثة إجتماعية من الدونمة في مقال لها، بعنوان: من هو الذي من سالونيك، أن اباها كان يقول لها، أن لا تذكر أنها من الدونمة لأي شخص لا تثق به، لأنه شيئ مهين إذ إن الناس سوف ينظرون لك بإحتقار.

ولم يتوقف الأتراك عن الإهتمام بالدونمة، والكتابة عنهم وعن تاريخهم، ودورهم السياسي والإقتصادي في تركيا. فقد صدر كتاب " يهود أتراك أو شبتائيون" عام ٢٠٠٠ م لمؤلفه محمد شوكت أبجي. والكتاب يضم مقالات تتحدث عن كثير من شؤون الدونمة. وخلاصة الكتاب، هو أن عدة آلاف من الدونمة يسيطرون على شؤون البلد. وكذلك كتاب " أفندي: السر الكبير للأتراك البيض" الذي اصدره صونر يلجن عام ٢٠٠٤ م. والكتاب يتحدث عن دور الدونمة في حقبة السلطنة العثمانية وما بعدها. وفي الخاتمة يقول: أن هدف الكتاب هو الكشف عن السر الذي يذكرفي تركيا. إن الشبتائيين (الدونمة)، هم حقيقة واقعة بيننا ولا يمكن ان نكتب تاريخنا بدونهم. وقد احدث هذا الكتاب ضجة وكان الإقبال عليه شديدا. ولا زال عدد الدونمة غير معروف في تركيا، وهناك تقديرات بأنهم حوالي أربعة وأربعين ألفا. و أخيرا و ليس آخرا، ان كتاب الدونمة بين اليهودية و الإسلام لمؤلفه د. جعفر هادي حسن ، كتاب مهم جدير بالقراءة .

للشاعر صالح بن عبدالقدوس رحمه الله احد شعراء الدولة العباسية

يُعطيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حلاوةً
ويَروغُ منكَ كما يـروغُ الثّعلـبُ

وَصِلِ الكرامَ وإنْ رموكَ بجفوةٍ
فالصفحُ عنهمْ بالتَّجاوزِ أصـوَبُ

فدَّعِ الصِّبا فلقدْ عداكَ زمانُهُ
وازهَدْ فعُمرُكَ مرَّ منهُ الأطيَـبُ

ذهبَ الشبابُ فما له منْ عودةٍ
وأتَى المشيبُ فأينَ منهُ المَهربُ

دَعْ عنكَ ما قد كانَ في زمنِ الصِّبا
واذكُرْ ذنوبَكَ وابكِها يـا مُذنـبُ

واذكرْ مناقشةَ الحسابِ فإنه
لابَـدَّ يُحصي ما جنيتَ ويَكتُبُ

لم ينسَـهُ الملَكـانِ حيـنَ نسيتَـهُ
بـل أثبتـاهُ وأنـتَ لاهٍ تلعـبُ

والرُّوحُ فيكَ وديعـةٌ أودعتَهـا
ستَرُدُّها بالرغمِ منكَ وتُسلَـبُ

وغرورُ دنيـاكَ التي تسعى لها
دارٌ حقيقتُها متـاعٌ يذهـبُ

والليلُ فاعلـمْ والنهـارُ كلاهمـا
أنفاسُنـا فيهـا تُعـدُّ وتُحسـبُ

وجميعُ مـا خلَّفتَـهُ وجمعتَـهُ
حقاً يَقيناً بعـدَ موتِـكَ يُنهـبُ

تَبّاً لـدارٍ لا يـدومُ نعيمُهـا
ومَشيدُها عمّا قليـلٍ يَـخربُ

فاسمعْ هُديـتَ نصيحةً أولاكَها
بَـرٌّ نَصـوحٌ للأنـامِ مُجـرِّبُ

صَحِبَ الزَّمانَ وأهلَه مُستبصراً
ورأى الأمورَ بما تؤوبُ وتَعقُبُ

لا تأمَنِ الدَّهـرَ فإنـهُ
مـا زالَ قِدْمـاً للرِّجـالِ يُـؤدِّبُ

وعواقِبُ الأيامِ في غَصَّاتِها
مَضَضٌ يُـذَلُّ لهُ الأعزُّ الأنْجَـبْ

فعليكَ تقوى اللهِ فالزمْهـا تفـزْ
إنَّ التَّقـيَّ هـوَ البَهـيُّ الأهيَـبُ

واعملْ بطاعتِهِ تنلْ منـهُ الرِّضـا
إن المطيـعَ لـهُ لديـهِ مُقـرَّبُ

واقنعْ ففي بعضِ القناعةِ راحةٌ
واليأسُ ممّا فاتَ فهوَ المَطْلـبُ

فإذا طَمِعتَ كُسيتَ ثوبَ مذلَّةٍ
فلقدْ كُسِيَ ثوبَ المَذلَّةِ أشعبُ

وابـدأْ عَـدوَّكَ بالتحيّـةِ ولتَكُـنْ
منـهُ زمانَـكَ خائفـاً تترقَّـبُ

واحـذرهُ إن لاقيتَـهُ مُتَبَسِّماً
فالليثُ يبدو نابُـهُ إذْ يغْـضَـبُ

إنَّ العدوُّ وإنْ تقادَمَ عهـدُهُ
فالحقدُ باقٍ في الصُّدورِ مُغَيبُ

وإذا الصَّديـقُ لقيتَـهُ مُتملِّقاً
فهـوَ العـدوُّ وحقُّـهُ يُتجنَّـبُ

لا خيرَ في ودِّ امـريءٍ مُتملِّقٍ
حُلـوِ اللسـانِ وقلبـهُ يتلهَّـبُ

يلقاكَ يحلفُ أنـه بـكَ واثـقٌ
وإذا تـوارَى عنكَ فهوَ العقرَبُ

يُعطيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حلاوةً
ويَروغُ منكَ كما يـروغُ الثّعلـبُ

وَصِلِ الكرامَ وإنْ رموكَ بجفوةٍ
فالصفحُ عنهمْ بالتَّجاوزِ أصـوَبُ

واختَرْ قرينَكَ واصطنعهُ تفاخراً
إنَّ القريـنَ إلى المُقارنِ يُنسبُ

واخفضْ جناحَكَ للأقاربِ كُلِّهِـمْ
بتذلُّـلٍ واسمـحْ لهـمْ إن أذنبوا

ودعِ الكَذوبَ فلا يكُنْ لكَ صاحباً
إنَّ الكذوبَ يشيـنُ حُـراً يَصحبُ

وزنِ الكلامَ إذا نطقـتَ ولا تكـنْ
ثرثـارةً فـي كـلِّ نـادٍ تخطُـبُ

واحفظْ لسانَكَ واحترزْ من لفظِهِ
فالمرءُ يَسلَمُ باللسانِ ويُعطَبُ

والسِّرُّ فاكتمهُ ولا تنطُقْ بهِ
إنَّ الزجاجةَ كسرُها لا يُشعَبُ

وكذاكَ سرُّ المرءِ إنْ لمْ يُطوهِ
نشرتْهُ ألسنةٌ تزيدُ وتكذِبُ

لا تحرِصَنْ فالحِرصُ ليسَ بزائدٍ في الرِّزقِ
بل يشقى الحريصُ ويتعبُ

ويظلُّ ملهوفاً يرومُ تحيّلاً
والرِّزقُ ليسَ بحيلةٍ يُستجلَبُ

كم عاجزٍ في الناسِ يأتي رزقُهُ
رغَداً ويُحرَمُ كَيِّسٌ ويُخيَّبُ

وارعَ الأمانةَ والخيانةَ فاجتنبْ
واعدِلْ ولاتظلمْ يَطبْ لكَ مكسبُ

وإذا أصابكَ نكبةٌ فاصبرْ لها
من ذا رأيتَ مسلَّماً لا يُنْكبُ

وإذا رُميتَ من الزمانِ بريبةٍ
أو نالكَ الأمرُ الأشقُّ الأصعبُ

فاضرعْ لربّك إنه أدنى لمنْ
يدعوهُ من حبلِ الوريدِ وأقربُ

كُنْ ما استطعتَ عن الأنامِ بمعزِلٍ
إنَّ الكثيرَ من الوَرَى لا يُصحبُ

واحذرْ مُصاحبةَ اللئيم فإنّهُ
يُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ

واحذرْ من المظلومِ سَهماً صائباً
واعلمْ بأنَّ دعاءَهُ لا يُحجَبُ

وإذا رأيتَ الرِّزقَ عَزَّ ببلدةٍ
وخشيتَ فيها أن يضيقَ المذهبُ

فارحلْ فأرضُ اللهِ واسعةَ الفَضَا
طولاً وعَرضاً شرقُها والمغرِبُ

فلقدْ نصحتُكَ إنْ قبلتَ نصيحتي
فالنُّصحُ أغلى ما يُباعُ ويُوهَبُ

شيء من التاريخ - معركة موهاكش

هي معركة وقعت بين جيشي الدولة العثمانية ومملكة المجر في ٢٩ أغسطس ١٥٢٦م). كان يقود قوات العثمانيين السلطان سليمان القانوني أما القوات المجرية فكان يقودها ملكهم لايوش الثاني (لويس الثاني). و قدر عدد جنود الجيش العثماني بحوالي ١٠٠ ألف جندي وعدد من المدافع و٨٠٠ سفينة، بينما قدرت أعداد الجيش المجري بنحو ٢٥ إلى ٣٠ ألف مقاتل .

• أدى انتصار العثمانيين في هذه المعركة إلى إحكام سيطرتهم على المجر وفتح عاصمتها بودابست والقضاء على ما كان يعرف باسم مملكة المجر. هذا و بعد فتح المدينة عانى العثمانيون كثيرا من غارات المسيحيين المتتالية عليها.

• و حتى هذا اليوم، يعتبر المجريون هزيمتهم في هذه المعركة شؤما عليهم ونقطة سوداء في تاريخهم. على الرغم من انقضاء أكثر من ٤٠٠ عام إلا أن هناك مثلا شائعا لدى الهنجاريين عند التعرض لحظ سيء، حيث يقولون «أسوأ من هزيمتنا في موهاكش».

• الخلفية التاريخية

• ظهرت قوة إسبانيا كأعظم ما تكون في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني حيث كانت تملك أقوى الجيوش الأوربية وأكثرها كفاءة وقدرة على القتال، وأصبحت تهدد الدولة العثمانية في البحر المتوسط، و كذلك تهدد بلاد المغرب العربي، وفي وسط أوروبا وامتد نفوذها إلى ألمانيا بعد أن دخلت تحت


السلطان
سليمان القانوني

تاج ملكها شارل الخامس الذي زاد من نفوذه زواج أخواته من ملوك البرتغال وفرنسا والدانمارك والنرويج والسويد والمجر، ولذلك أطلق عهد شارل الخامس على هذه الحقبة من القرن السادس عشر الميلادي.

• ولم يبق من ملوك أوروبا خارج سيطرته وقبضته سوى إنجلترا، وفرنسا التي عزم ملكها على منازلة خصمه الإمبراطور شارل الخامس مهما كلفه الأمر، لكنه لم يقو على الصمود فخسر معه معركته، وسيق ذليلاً إلى مدريد حيث سجن في أحد قصورها، غير أن أم الملك الأسير "لويز سافوا" أرسلت إلى السلطان سليمان القانوني ترجوه تخليص ابنها من الأسر، فوجد السلطان العثماني في ذلك فرصة للانقضاض على شارل كوينت بعد أن صار معه حليف من الغرب الأوروبي، وامتلك مسوغا للتحرك بإسم الملف الفرنسي.

• وكان ذلك أملاً يراود نفس السلطان سليمان القانوني لإعادة إسبانيا إلى سابق عهدها دولاً متفرقة لا دولة واحدة تهدد دولته، وكان السلطان قد عهد إلى خير الدين بربروس مهمة منازلة إسبانيا في البحر المتوسط ودفع خطرها فكفاه ذلك، وترك لنفسه مهمة منازلة إسبانيا في وسط أوروبا، وكان ينتظر الفرصة المناسبة للقيام بدوره، وما كادت تستنجد به أم الملك الفرنسي حتى استعد لتحقيق ما كان يصبو إليه.

• ولما أفرج شارل الخامس عن الملك الفرنسي بعد شروط صعبة أجبره على قبولها في معاهدة مدريد في (٢٩ ربيع الأول ٩٣٢ هـ = ١٤ يناير ١٥٢٦م)، عمد الملك الفرنسي إلى تقوية روابطه مع السلطان العثماني، وألح في طلب العون والمساعدة؛ لأن قواته العسكرية لم تكن كافية لمجابهة الملك الإسباني الذي انفتحت جبهته لملاقاة خصوم أشداء، فكان عليه أن يواجه سليمان القانوني، و خير الدين بربروس، وفرانسوا الأول ملك فرنسا، ومارتن لوثر الذي تفاقمت دعوته الدينية البروتستانتية وازداد أتباعه، وانتشر مذهبه البروتستانتي، وتمزقت بسببه الوحدة الكاثوليكية، وعجز الملك الإسباني عن القضاء على دعوته بعد أن دانت أقطار كثيرة بمذهبه، وانفصلت عن نفوذ البابا في روما.

• وهكذا تهيأت الظروف للسلطان العثماني للقيام بضربته وتقليص نفوذ الملك الإسباني في المجر، وكانت المجر أكبر كثيرا مما هي عليه الآن؛ إذ كانت تتكون من اتحاد المجر وتشيكوسلوفاكيا السابقة، بالإضافة إلى الأقطار الشمالية ليوغسلافيا، مثل: سلوفينيا، وترانسلفانيا التي هي الآن تابعة لرومانيا.

• قبل المعركة

• سار السلطان سليمان من إسطنبول في (١١ رجب ٩٣٢هـ = ٢٣ إبريل ١٥٢٦ م) على رأس جيشه، الذي كان مؤلفا من نحو مائة ألف جندي، وثلاثمائة مدفع وثمانمائة سفينة، حتى بلغراد، ثم تمكن من عبور نهر الطونة (الدانوب) بسهولة ويسر بفضل الجسور الكبيرة التي تم تشييدها، وبعد أن افتتح الجيش العثماني عدة قلاع حربية على نهر الطونة وصل إلى "وادي موهاكش" بعد ١٢٨ يوما من خروج الحملة، قاطعا ١٠٠٠ كيلو من السير، وهذا الوادي يقع الآن جنوبي بلاد المجر على مسافة ١٨٥ كم شمال غربي بلغراد، و١٧٠ كم جنوبي بودابست. وكان في انتظاره الجيش المجري البالغ نحو خمسين ألف جندي، من بينهم ٥٠٠٠ من الوحدات المساعدة التي جاءت من ألمانيا، ويقود هذه الجموع الجرارة الملك "لايوش الثاني". حيث قام الصدر الاعظم العثماني إبراهيم باشا باعداد الخطة التي تتضمن انسحاب مقدمة العثمانيين وتراجعها حتى يندفع المجريون نحوهم فتحصدهم المدافع والقناصة العثمانيون.

• المعركة

• وفي صباح يوم اللقاء الموافق (٢١ ذي القعدة ٩٣٢هـ = ٢٩ أغسطس ١٥٢٦ م) دخل السلطان سليمان بين صفوف الجند بعد صلاة الفجر، وخطب فيهم خطبة حماسية بليغة، وحثهم على الصبر والثبات، ثم دخل بين صفوف فيلق الانكشارية وألقى فيهم كلمة حماسية وكان مما قاله لهم: "إن روح رسول الله صلى الله عليه وسلم تنظر إليكم"؛ فلم يتمالك الجند دموعهم التي انهمرت تأثرا بما قاله السلطان.

• وعند العصر هجم المجريون على الجيش العثماني الذي اصطف في ثلاثة صفوف، وكان السلطان ومعه إبراهيم باشا الفرنجي الصدر الاعظم ومعهم مدافعهم الجبارة، وجنودهم من الإنكشاريين في الصف الثالث، فلما هجم فرسان المجر وكانوا مشهورين بالبسالة والإقدام أمر إبراهيم باشا صفوفه الأولى بالتقهقر حتى يندفع المجريون إلى الداخل، حتى إذا وصلوا قريبا من المدافع، أمر إبراهيم باشا بإطلاق نيرانها عليهم فحصدتهم حصدا، واستمرت الحرب ساعة ونصف الساعة في نهايتها أصبح الجيش المجري في حالة تقهقر، بعد أن غرق معظم جنوده في مستنقعات وادي موهاكش، ومعهم الملك لايوش الثاني وسبعة من الأساقفة، وجميع القادة الكبار، ووقع في الأسر خمسة وعشرون ألفا، في حين كانت خسائر العثمانيين ألف و خمسمائة قتيلا، وبضعة آلاف من الجرحى.

• نتائج هذه المعركة

• كانت معركة موهاكش من المعارك النادرة في التاريخ، حيث هُزم أحد أطرافها على هذا النحو من مصادمَة واحدة وفي وقت قليل لا يتجاوز ساعتين، وترتب فيها ضياع استقلال المجر بعد ضياع جيشها على هذه الصورة في هزيمة مروعة، وبعد اللقاء بيومين في (٢٣ من ذي القعدة ٩٣٢ هـ= ٣١ من أغسطس ١٥٢٦ م) قام الجيش العثماني باستعراض أمام الخليفة سليمان، وقام بأداء التحية له وتهنئته، وقام القادة بدءا من الصدر الأعظم بتقبيل يد الخليفة.

• ثم تحرك الجيش نحو الشمال بمحاذاة ساحل الطونة الغربي حتى بلغ بودابست عاصمة المجر، فدخلها في (٣ من ذي الحجة ٩٣٢ هـ= ١٠ سبتمبر ١٥٢٦ م)، ودخل المدينة بعيد الأضحى في سراي الملك، وكان قد احتفل بعيد الفطر في بلغراد في أثناء حملته. مكث الخليفة في المدينة ثلاثة عشر يوما ينظم شئونها، وعين جان "زابولي" أمير ترانسلفانيا ملكا على المجر التي أصبحت تابعة للدولة العثمانية، وعاد الخليفة إلى عاصمة بلاده بعد أن أصبحت المجر تابعة للدولة العثمانية ، و بانتصار الخليفة سليمان القانوني تمكن من تقليص نفوذ الملك الإسباني و توسيع الامبراطورية العثمانية.

البُعْد الأخلاقي في نظرة السُّنَّة للشعر



كتابة : الاستاذ سليم يوسف
كاتب و باحث من لبنان

لقد شدّد النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابتهُ من بعده على الجانب الأخلاقي في الشعر إبْداعاً وروايةً، فالإسلام يعتبر أن التكريم الإلهي للإنسان: فيما أوْدعه فيه من عقْل وفكْر وفؤاد وإنسانية، لذا حمَّله مسؤولية الخلافة في الأرض، والنبي - صلى الله عليه وسلم- يقول:

(ما مِنْ شيءٍ أثْقل في ميزان المؤمن يوْم القيامة من خُلُقٍ حَسَنٍ، وإنَّ الله تعالى لَيَبغُضُ الفاحِش البذيء)[1]

إن الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في الإسلام، كما أنها ليست محصورةً في نطاق مُعيّن من أنماط السلوك البشري، إنما هي الترجمة الحيَّةُ للاعتقاد والإيمان الصحيح الذي يطبّق عملياً، فالإيمان ليس مشاعر فقط بل ممارسة سلوكية، لذلك ربط القرآن الكريم الأخلاق بالعقيدة، والله تعالى يقول:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[2]

ويقول أيضاً: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾[3]

لقد ربّى الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – الصحابة على أن العبادة نوع من الأخلاق، لأنها لون من ألوان الوفاء والشكر لله تعالى على ما أنعم على العباد، فالأخلاق في التربية النبوية تعمّ كل صفات الإنسان، وكل أحاسيسه وتصرّفاته، فالكلام – والشعر كلام – له أخلاق، وهي الإعْراض عن اللغوْ والفواحش، وكل الأمور التي تنفر منها الفطرة الإنسانية السليمة، والمُتمعِّن في السُّنّة النبوية يجد فيها تركيزاً من النبي – صلى الله عليه وسلم – على مكارم الأخلاق، وهو القائل:

«إنّ خياركم أحْسنكمْ أخلاقاً»[4]

ومثل هذا كثير.

والسُّنَّة تدعو لأن يكون الشعر مجسِّدا لهذا الخُلُق الحسن، ومعبراً عن إنسانية الإنسان، ويضرب النبي – صلى الله عليه وسلم- لنا مثلاً فيما يرويه أبو هريرة في قصصه، يذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه يقول: «إنّ أخاً لكم لا يقولُ الرَّفث، يعني عبد الله بن رواحة، قال:

وفينا رسولُ اللهِ يتلـــــو كتابـــــه
إذا انْشقَّ معْروفٌ منَ القَوْل ساطع
أرانا الهُدى بعْدَ العمَى فَقُلوبُنا
بـــهِ موقنـاتٌ أنَّ ما قال واقع[5]

والرَّفث: بذيء الكلام، وهو ما رُوجع به النساء، وقال الأزهري:

طاعة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة[6]

فصيانة اللسان عن الفحش تعني التحلّي بِحُسْن الخُلُق في التعبير، وعلى ذلك فإن الإطار الذي ينبغي أن يسبح فيه الأديب المبْدع، هو الإطار الأخلاقي بمفهومه الواسع كما يراه الإسلام، و عندها ما من احد يمنعه أن ينظم في أي موضوع، وبالطريقة التي تحلو له طالما أنه يستمدّ مناعته من الأخلاق الحسنة، وهذا ما فهمه – والله أعلم – عبد الله بن عباس من قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾

---

١ رواه الترمذي، في البِرّ، وابن حِبّان في صحيحه، وقال الترمذي: حسن صحيح. المنذري، الترغيب والترهيب، ٢٧٠/٣، الترغيب في الخُلق الحسن. من حديث أبي الدرداء.

٢ سورة المؤمنون، آية ١-١٠.

٣ سورة الأنعام، آية ١٥١.

٤ صحيح البخاري، الأدب، باب حُسن الخلق والسخاء عمرو.

٥ صحيح البخاري، التَّهجُّد، باب فضل من تَغارّ من الليل فصلّى، رقم ١١٥٥.

٦ النهاية في غريب الحديث، ٢٤١/٢.

أي في كل فنٍ من فنون الكلام يأخذون ، أي يمدحون قوماً بباطل، ويشتمونهم بباطل وفي كل لغْوٍ يخوضون.[1]

وقد حرص الصحابة الكرام بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – على رعاية الشعراء بمراقبتهم، وتقْويم من يشذّ منهم على الموازين التي وضعها الإسلام للإبداع الأدبي، تقديراً منهم لدور هذا الإبداع المجلبب بالخُلُق الحسن، وتربية الناشئة على مكارم الأخلاق، لذلك لم يكن (أحد من الصحابة وأهل العلم، وموضع القُدْوة إلاّ وقد قال الشعر أو تمثّل به، أو سمعه فرَضي به، ما كان حكمةً أو مباحاً، ولم يكن فيه فحْشٌ ولا خنا، ولا لمسلمٍ أذىً [2]

وهذا التوجه يتجلّى في موقف عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مع مولى بني الحسماس، وقد سأله كيف قلت؟ فقال:

ودِّعْ سُلَيْمَى إنْ تجهَّزْتَ غاديا
كَفى الشيْبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر: حسْبُك، صدقْتَ، صدقتَ، فلما قال:

فَبـــاتَ وِسادانـــا إلـــى عَلَجانَةٍ
وحِقَـــفٍ تَهـــاداهُ الرياحُ تهاديا
وهَبَّتْ شَمـــالٌ آخر الليْل قرَّة
ولا ثـوْبَ إلاّ دِرْعهـــا و ردائيا
فما زالَ بُرْدي طيباً مِنْ ثيابها
إلى الحَوْل حتّى أنْتجَ الثوبُ باليا

فقال له عمر – رضي الله عنه-: ويْلَكَ إنّك مقْتُول[3]

و هكذا يتبين لنا ان الشاعر قد أجاد أولاً، ثم أساء ثانياً عندما وصف مبيته مع إحداهن، بإسلوب فاحش وأنه أمضى الليلة معها جسماً واحداً فكانت نهايته- بالفعل- أنْ قتله قوم شبّب ببعض نسائهم كما ذكر ابن سلام الجُمحي، فعمر – رضي الله عنه – زكّى الكلام الطيّب، وهدّد و نبّه على الكلام المُخِلّ بالحياء، وتصرُّف الخليفة عمر في مثل هذه المواقف طبقه الصحابة الكرام، وهو ما أسسّته السُّنَّة النبوية في التعامل مع الموروث الأدبي الجاهلي، وما سار فيه التابعون وأتباعهم، وهو الاسلوب نفسه الذي طبّقه الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فعندما ولي الخلافة دخل عليه عديُّ بن ارطاة و أخبره أن الشعراء بالباب ينتظرون الاذن بالدخول فقال له: مَنْ بالباب؟ قال: ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القُرشي، قال: لا قرَّب اللهُ قرابته، ولا حيّا وجْهه، أليس هو القائل:

فَيا لَيتَ أَنّي حَيثُ تَدنو مَنيَّتي
شَممْتُ الذي ما بيْنَ عيْنيكِ والفم
ولَيْتَ طهوري كـان ريقـكِ كُلَّـهُ
وليْتَ حَنُوطي منْ مشاِشك والدم
ويا ليتَ سُليمى في القُبورِ ضجيعتي
هُنالكَ أوْ في جنـــةٍ أو جهنَّـــم

فليتَ عدوّ الله تمنَّى لقاءها في الدنيا، ثم يعمل عملاً صالحاً، واللهِ لا دخل عليّ أبداً.

فَمنْ بالباب غير من ذكرت؟ قال: جميل بن معمر العذْري، قال الذي يقول:

ألا ليْتنا نَحْيا جميعاً وإن نمتْ
يُوافي لدى المَوْتَى ضريحي ضريحُها
فما أنا في طُوْل الحياةِ براغبٍ
إذا قِيل قدْ سُـوِّي عليها صفحهـا
أظلُّ نهاري لا أراها وتَلتقـي
مع الليل روحي في المنامِ وروحها

أغْرُب به، فلا يدخل عليّ أبداً، فمَنْ بالباب غير من ذكرت؟

---

١ تفسير الطبري، ١٢٨/١١، سورة الشعراء، آية ٢٢٥.
٢ تفسير القرطبي، ١٩/١٣.
٣ محمد بن سلام الجُمحي، طبقات فحول الشعراء، ١٨٧/١-١٨٨.

قال: كُثير عَزّة
قال الذي يقول:
رُهْبانُ مَدْينَ والذيــــنَ عَهِدْتُهُـم
يبْكون منْ حَذَر العقابِ قُعودا
لو يسمعُون كما سمعتُ كلامَها
خرُّوا لِعـــــزَّةَ رُكعّاً وسُجـــودا

أعزُبْ به، فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: الأحْوص الأنصاري،

قال: أبْعده اللهُ وأسْحقه، أليس هو القائل وقد أفسد على رجلٍ من أهل المدينة جاريةً له حتى هربتْ منه، قال:

اللهُ بيْني وبيْنَ سيدها يَفِرُّ مِنيَّ بها وأتَّبِعُ

أعزب به، إلى أن وصل إلى أن قالوا له: جرير بالباب، فلما أذن لجرير قال له: إتقِ الله يا جرير ولا تَقُلْ إلا حقا[1]

ونختم هذه الحلقة باقتباس ما ذكره سيد قطب في (ظلال القرآن) في هذا المجال: الإسلام لا يُحارب الشعر والفن لذاته، كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ، إنما يحارب المنهج الذي سار فيه الشعر والفن، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها. وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام... ثم تعبر عن هذا كله شعراً وفناً، فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يُحارب الفن، وقد وجّه القرآن القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون، وإلى خفايا النفس البشرية، وهذه وتلك هي مادة الشعر والفنّ...

ومن ثم يسْتثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء - ألم تر أنهم في كلِ وادٍ يهيمون - حيث يأتي قوله تعالى:[إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا][2] فهؤلاء غير داخلين في ذلك الوصف... ومنهم الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها إبّان المعركة مع الشّرْك على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" كحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم من شعراء الأنصار، ومنهم: عبد الله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لِحسّان: «اهْجُهُم - أو قال: هاجِمهمْ - وجبْريلُ معك»[3].

سليم يوسف



١ طبقات فحول الشعراء، ٢/٦٥٦-٢٥٧؛ ابن قُتيبة، الشعر والشعراء، ١/٤٢٤.

٢ سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

٣ سيد قطب، في ظلال القرآن، ٥/٢٦٢٢، سورة الشعراء.

أثر شاعرات الأندلس بالشعر الإسباني والآداب الأوروبية



كتابة : محمد محمد الخطابي
كاتب من المغرب

أهمل بعض الدارسين وأصحاب الأخبار في تاريخ الأندلس كثيراً من النصوص الشعرية التي صدرت عن الشاعرات الأندلسيات، بل إن الأدب الأندلسي النسوي على وجه الخصوص لم يحظ بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين على الرغم من التأثير البليغ الذي أحدثه هذا الشعر على اختلاف أغراضه، وألوانه، وتعدد مشاربه، وتباين مقاصده في الآداب الأوروبية في القرون الوسطى، حيث بلغ في ذلك شأوا بعيدا ظل مجهولا أو مهمشا لزمن غير قصير.

و من الأبحاث الرصينة، والدراسات المستفيضة التي نشرت مؤخرا في هذا المضمار، وأزاحت الستار عن أهمية، وجمال هذا الشعر، دراسة باللغة الاسبانية للباحثة والشاعرة الاسبانية – الكتلانية كلارا خانيسْ تحت عنوان: «الشعر النسوي في الأندلس». تقدم هذه الدراسة فكرة واضحة عن المدى البعيد الذي أدركته المرأة (عربية كانت أم أمازيغية) التي عاشت تحت الظلال الوارفة للحضارة الأندلسية من تقدم، ورقي ينمان عن حس مرهف، وشعور رقيق.

واعتبرت الباحثة موضوع شعر الجنس اللطيف في الربوع والأصقاع الأندلسية اكتشافاً عظيماً، وعنصرا مفاجئا بالنسبة لها في عالم الإبداع النسوي في القرون الوسطى على وجه التحديد. وعالجت موضوع الخلق الأدبي، والإبداع الشعري عند المرأة بشكل عام مستشهدة بما ذهبت إليه الكاتبة البريطانية فرجينيا وولف من آراء عن المصاعب، والاكراهات التي تواجه المرأة عند عملية الخلْق، والكتابة، والإبداع. حيث أشارت إلى أن الكتابة عند المرأة لا يمكنها أن تتحقق إلا إذا توفرت لديها شروط معينة منها التواجد في عصر بعينه يسمح لها فيه المجتمع بالمشاركة في الحياة العامة بشكل فعال، مع توفير مستوى ثقافي معين، فضلاً عن ضمان حرية القول، والافصاح، والبوْح، والتعبير، بالإضافة إلى الانتماء إلى نمط اجتماعي بذاته. وتضيف عنصراً آخر ليتسنى للمرأة مزاولة عملية الخلق والإبداع، وهو الانفتاح في العادات، والتقاليد، وعدم تحجرها، وجفائها، وجفوتها مثلما كان عليه الشأن في المجتمع الأندلسي الذي كان من أكثر المجتمعات انفتاحا، وانشراحاً وتسامحاً في القرون الوسطى.

وأجرت الكاتبة كلارا خانيس موازنات، وتشابهات بين شعر المرأة العربية والأمازيغية بالأندلس وشاعرات اسبانيات عشن في عهود موالية للعهد الأندلسي، إلا أن قصب السبق في معالجة الموضوعات بنوع من الواقعية والذكاء مع دقة الملاحظة، وعمق التحليل كان من نصيب الشعر النسوي العربي في الأندلس. وأكدت الباحثة بدورها أن الشعر العربي بشكل عام في الأندلس كان له تأثير بليغ وحاسم في الشعر الاسباني فيما بعد على وجه الخصوص وفي الشعر الأوروبي بشكل عام، وقد تجلى ذلك لدى «الجيل الأدبي الاسباني ١٩٢٧» الشهير الذي ينتمي إليه غير قليل من كبار المبدعين الاسبان ذوي الصيت العالمي البعيد أمثال فثينتي الكسندري الحائز على جائزة نوبل في الآداب، وكذا خوان رامون خمينيث فضلاً عن الشاعر الأندلسي رفائيل البرتي الذي يعترف صراحة في العديد من أعماله الأدبية بتأثير الشعر العربي في الأندلس عليه، وسواهم.

الحب العذري في الأندلس

تشير الباحثة إلى أن الحب العذري شاع، واشتهر في الأندلس مثلما كان عليه الشأن عند المشارقة، وكيف أن تأثيرات هذا الغرض على وجه الخصوص

في الشعر الأندلسي انتقل عن طريق شبه الجزيرة الايبيرية في المقام الأول إلى فرنسا حيث دخل أرقى البلاطات ، و الصالونات ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بعض البلدان الأوروبية الأخرى المجاورة وبالأخص إلى إيطاليا بواسطة برونيتو لاتيني الذي كان سفيراً لبلاده لدى بلاط العاهل الاسباني الفونسو العاشر الذي كان يلقب بالحكيم أو العالم في القرن الثالث عشر، والذي كانت تربطه بالحضارة العربية، والثقافة الإسلامية رابطة وثقى، وآصرة متينة نظراً لإعجابه الكبير بها ونهله منها، وتأثره بها حيث أمر بترجمة العديد من أمهات الكتب والمخطوطات العربية الشهيرة في مختلف العلوم والآداب والمعارف إلى اللغة الاسبانية منها على سبيل المثال وليس الحصر كتاب «كليلة ودمنة» لعبد الله بن المقفع وسواه من الأسفار الأخرى.

وتذهب الباحثة الكتلانية إلى القول أن التمعن في الشعر النسوي الأندلسي وقراءته أمران يبعثان على الاعجاب والانبهار، ويثيران دهشة الغرب سواء لدى الدارسين المتخصصين، أو الباحثين الجامعيين أو القراء على وجه العموم، نظراً لما تتضمنه هذه الأشعار من رقة، ورفاهية، وعذوبة وليونة، فضلاً عن الخيال الخصب المجنح الذي يطبعها، وحرية التعبير التي لا يمكن موازنتها سوى بحرية التعبير المتوفرة في المجتمعات العصرية الراهنة. وتؤكد في هذا القبيل أن هذه الحرية لم يتسن للمرأة الغربية في تاريخها أن تتمتع بها إلى اليوم. وتورد الكاتبة رأياً للباحث الاسباني أدولفو فديريكو شباك مفاده أن الحرية التي تمتعت بها المرأة العربية في الأندلس على وجه الخصوص فاقت الحريات التي كانت لدى المرأة في المجتمعات الإسلامية الأخرى. ويضع المستشرق هنري بيريس في الاتجاه نفسه المرأة الأندلسية في مستويات ومراتب عليا تتساوى فيها مع الرجال، بل إن المرأة الأندلسية كانت تتردد على نوع من الجامعات، والمعاهد حيث تتعلم، وتتلقى وتلقن فيها الفنون والآداب المختلفة، والعلوم التي كانت سائدة ومنتشرة في ذلك العصر، وأشهر هذه المدارس، والجامعات كانت موجودة في مدينة قرطبة التي يقال إنها فاقت كل الأمصار في ذلك الزمن حيث يقول الشاعر في ذلك:

بأربعٍ فاقت الأمصار قرطبةٌ

قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثةٌ

والعلم أعظم شيء وهو رابعها.

وتشير الباحثة أن الشأو البعيد الذي بلغته المرأة العربية في المجتمع الأندلسي لم تدركه زميلتها الأوروبية في ذلك الأوان، وأن شعر النساء في الأندلس لم ينحصر في موضوع الحب، والغزل كما يتوهم بعضهم، بل تعداه إلى مواضيع وأغراض أخرى مثل المدح، والهجاء، ووصف الطبيعة.

شاعرات مشهورات

ومن أشهر وأقدم الشاعرات العربيات الأندلسيات التي تعرضت لها الباحثة الاسبانية الشاعرة حسانة التميمية وهي من «إلفيرا» بمدينة غرناطة. ولدت خلال إمارة عبد الرحمان الداخل المعروف بـ (صقر قريش) (٧٥٦ -٧٨٨م) وأوردت الباحثة قصيدة مدح لها بعثت بها إلى الأمير الحاكم الأول، تطلب منه فيها حمايتها من جور حاكم غرناطة. ومن أشهر الشاعرات الأندلسيات المشهود لهن بطول باعهن في قرض الشعر وإجادة نظمه اللائي ورد ذكرهن في كتاب «نفح الطيب» للمقري، وهو من أكبر المصادر القديمة التي حوت ثبتاً مستفيضاً لكثير من أسماء الشاعرات الأندلسيات، وفي كتب: «جدوة المقتبس» للحميدي، و»الصلة» لابن بشكوال، و»التكملة» لابن الآبار، وفي سواها من المصادر العربية المشهورة الأخرى نجد الشاعرات:

لبنى كاتبة الحاكم المستنصر، والغسانية، وحفصة بنت حمدون الحجارية، وأم الكرام بنت المعتصم

ابن صمادح، وغاية المنى، واعتماد الرميكية زوجة المعتمد، وعائشة بنت قادم القرطبية، ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، وأم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية، وحمدة بنت زياد المؤدب وأختها زينب، وقمر جارية إبراهيم اللخمي، ونزهون الغرناطية، والشاعرة العبادية والدة المعتمد، وبثينة بنت المعتمد ابن عباد، وأسماء العامرية، وحفصة الركونية، والشاعرة الأميرة الشهيرة صاحبة ابن زيدون ولادة بنت المستكفي... الخ.

باقات من أشعارهن

وأكتفي كمثال نابضٍ بمدى جمالية هذا الشعر بأبيات لثلاث شاعرات أندلسيات، اللائي يقدمن خير دليل على مدى تفوقهن، وسيطرتهن على ناصية الشعر في الأندلس، وقد أثبتت الباحثة الاسبانية مقطوعات شعرية لإحداهن وهي ولادة بنت المستكفي صاحبة ابن زيدون التي تقول فيها:

ولي منك ما لو كان بالشمس لم تلحْ
وبالبدر لم يطلعْ وبالنجم لم يسر

وولادة هي بنت الخليفة المستكفي بالله، وقال ابن زيدون فيها القصائد الطنانة، والمقطوعات البديعة، و من أشهرها نونيته التي يقول في مطلعها:

أضْحى التنائي بديلاً عنْ تدانينا
وناب عنْ طيب لقْيانا تجافينا
بنْتم وبنا، فما ابتلتْ جوانحنا
شوْقاً إليكمْ، ولا جفتْ مآقينا

وأما الشاعرة الثانية فهي حمدة أو حمْدونة بنت زياد المؤدب التي كان يقال لها خنساء المغرب لقوة شعرها، ولها المقطوعتان العجيبتان المشهورتان في المشرق والمغرب، واللتان ما زال أهل البلاغة يجعلونهما مثلاً أعلى للنسج على منوالهما تقول في المقطوعة الأولى:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا
وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة
وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي
ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

والشاعرة الثالثة هي أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية، ذكرها صاحب «المغرب في حلى المغرب»، ومن شعرها:

كل ما يصدر عنكم حسن
وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم
وبذكراكم تلــذ الأذن
ومن يعش دونكم في عمره
فهو في نيل الأماني يغبن.



كتابة :
أسماء عبد الهادي القادري

هو ذا النهار على مقربة! فلا تبتئس بتلك المحن التي تمر أمام ناظريك ولا يغرك الكسل كحال الكثيرين، ترقب من حولك وقد دب الفتور فيهم وبات الاعتذار عن العمل الدعوي سيد الموقف في أي مناسبة سواء أكانت دعوية أم ترفيهية.. وتطول لائحة التغيب فيبعث في نفسك برودة وتقاعساً، فالتمس صبراً لخطواتك ولو كنت وحيداً، وتنفّس حب العمل ولو كان بسيطاً، ليشتعل الحافز للمبادرة عند غيرك.. كل لحظة تقدمها في خدمة دعوتك ستضيء لك الطريق لتتابع بعزمٍ وهمة..ولن تكون وحيداً في هذا الميدان، فهناك من يتمنى أن تتاح له الفرصة ليجني حسنات ويندفع ليغير في المجتمع..لن توأد الدعوة بغيابك، بل أنت الذي ستفتقد بذور الخير في روحك بخمولك وكسلك..وتجابهك أسئلة كثيرة هل حال الأمة وضعفها هو سبب التقاعس والخمول ؟، الذي بات كسرطان ينهش في مجالسنا الدعوية،أم أن عامل التفكك الحاصل في الأسر وضعف الجانب الإيماني والروحاني هو السبب المباشر لندرة الحماس لدى الشباب في أي نشاط دعوي يقام، سواء أكان محاضرات أم جلسات تعبدية أو حتى ترفيهية.

مشاكلُ عديدة تلك التي تواجه العاملين في الحقل الدعوي، في كيفية استثارة الجميع للعمل بحماس، وطرد الفتورالذي يخيِّم على بعض الأشخاص، وكذلك ضمان التفاعل بين الأفراد لدرجة تصل بالعمل إلى ما يصبون إليه، فهل يا ترى ينقصهم عامل التحفيز، أم أن عوامل كثيرة قد دفعت بعضهم للخمول والكسل. فالتحفيزُ هو مجموعة الدوافع التي نستطيع أن نزرعها في نفوس الأفراد ونربطها بالفائدة العظيمة من أجر وثواب،فنبحث عن دوافع لتنتفض الرغبة في نفوس الشباب لأعمال دعوية عظيمة تصب في مصلحة العمل الدعوي في الدنيا، وابتغاء الثواب الجزيل من الله في الآخرة.

فعندما يشعر المرء أنَّه على ثغر من الثغور، وأنَّ العمل قد يؤتى من قبله، فتجده يقظا منتبها يخشى التقصير..وبالمقابل تجد من يتهرب من المسؤولية ويضعها على عاتق غيره وحجته دوماً الإنشغال والإعتذار. فهل هناك من عوامل كامنة داخل كل فرد نستطيع بواساطتها معالجة هذا الخلل، ودفعه للعمل بهمة؟، أم أن هذا التحفيز يصطدم أحياناً بمجموعة من المعوقات؟، والتي من أبرزها : الخوف من عدم النجاح أو الفشل في إدارة عمل دعوي معيّن، أو الرتابة في العمل، أو كثرة المواعيد الشكلية الدنيوية التي نضعها في المرتبة الأولى قبل أي عمل دعوي، وتغليب التسويف على كثير من الأعمال، وعدم انجاز تلك الأعمال، والاتكال على بعض الأشخاص النشيطين في أكثر من مجال، وقلة تدريب الأشخاص، وعدم توفير الدعم الفني لهم، أو قلة الوقت وقلة المصادر التي يحتاج لها لإنجاز العمل.

هل ترانا يوماً فهمنا معنى إكرام الله جلّ جلاله للعبد أن يجعله من الدعاة إلى الله، الذين يرشدون الناس الى طريق الخير والفلاح، وأنه واجب على كل فرد وخاصة في هذا الزمن، فقد قال ابن الجوزي: (من أفضل مقامات العبودية الدعوة الى الله) . وتكليف الله عزّوجلّ للنبى صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة، هو تكليف لأمته كما صرحت بذلك الآية الكريمة : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ولعل من المواضيع المهمة التى يجب أن تُناقش هو كيفية تحفيز العاملين فى العمل الدعوي.

ان النفس البشرية جبلت بأن تكون أفضل أداءً وتميزاً فى حال قيامها بأعمال تحبها أو تتقرب فيها إلى من تحب، و قد ذكر سيد قطب: "فالقلوب المؤمنة التى انطوت على حب الله ورسوله وحب الدعوة اليه تجدها دائماً تهفو بمحبة الله في كل حركة وعمل وسكنة من سكناتهم".

فغرس مفهوم حب الدعوة الى الله هو طريق التربية الإسلامية الاصيلة، التى يجب أن يعتنى بها الدعاة المربون والقادة فى ميدان العمل الدعوي، فعندما تكون مناهج الدعوة التربوية مرتكزة في هذا المفهوم،

يكون لدينا جيل دعاة باذلاً وقته وجهده فى سبيل الدعوة إلى الله، مستمتعاً بما يقوم به مستشعراً الأجر فى ذلك، على الرغم مما يتحمله من كثرة الاعباء. ولابد من تذكير النفس دوماً بأهمية ما نقوم من الدعوة الى الله وحاجة المجتمعات إليها، وإنه الدليل الجلي على تعافي المجتمع من كدر الذنوب.

يقول سيد قطب: (فالحب هذا الروح الساري اللطيف الشفاف الرائق البشوش هو الذى يربط القوم بربهم الودود).

إن من رضي أن يكون فى ركب الدعاة آخذاً على عاتقه تحمل مشاق ومتاعب الدعوة، فالأخوة الإيمانية التى طالما سمعنا عنها فى الخواطر والدروس تلك الأخوة الصادقة هي الركيزة الأساسية في وحدة وتكاتف الصف الدعوي، لأن كثيراًمنا يفتر عن العمل الدعوي بسبب فقدان الأجواء الأخوية والتواصل والدعوي. وعلينا أن نقبل أعذار إخواننا ، وفي حالة ضعفهم ندعوا لهم في ظهر الغيب ونتواصل معهم وإن بعدوا عنا. وإن جاءونا قبلناهم وإنطلقنا وإياهم في أجواء الدعوة الى الله، يقول ابن عباس رضي الله عنهما:"أحبُ إخواني إليَّ أخٌ، إن غبت عنه عذرني، وإن جئتُه قَبِلَني"

وما أجملنا عندما نتحلى بآداب النصيحه ولانتصيد أخطاء الأخوان، وعلينا أن نشيع جو البساطة والمودة والتكافل بين أخواننا فنهب لقضاء حوائج أخواننا ونسارع الى إرسال الهدية الجميلة والرسالة اللطيفة في المناسبات السارة والمواساة في أوقات الحزن والشدة والمرض. إن إحياء تلك الأجواء عامل رئيس بعد توفيق الله فى ثبات إخواننا في الدعوة والإستمرارية في البذل والعطاء، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

والفرصة ما زالت متاحة لنراجع ما قدمناه في سجل حياتنا، فهلا خبأنا بعضاً من الأعمال التي تقربنا إلى المولى عزّوجلّ وقد زينها الإخلاص لتكون لنا باباً من أبواب الجنان يوم القيامة..فالعمل الدعوي ما هو إلاّ خبايا ليوم لا ينفع مال ولا بنون.

صحة - الوقـايــة من مرض الايدز



كتابة : د.يوسف قريشي

مرض الإيدز هو مرض "نقص المناعة المكتسبة"، وهو من أخطر الأمراض التي تواجه عالمنا في أيّامنا هذه، فالإيدز من الأمراض التي تصيب الإنسان ، و فيروس هذا المرض يصيب جسم الإنسان، فيفقده قدرته على مقاومة الفيروسات الأخرى التي تدخل للجسم، زيادة على فقدان قدرته على مقاومة الجراثيم والفطريات، بمعنى آخر يفقد قدرته على مقاومة أي كائن غريب في الجسم، ويصبح الجسم ضعيفاً وعرضة للإصابة بأمراض أخرى مختلفة كالسرطانات، والإلتهابات الرئويّة وإلتهاب السّحايا. ويمرّ هذا المرض بمستويات وتطوّرات عديدة تختلف من شخص لآخر، وبالتّالي تختلف أعراض المرض بإختلاف ذلك، ففي المستوى الأول من الإصابة بالمرض، نادراً ما تظهر أيّة أعراض أو دلائل على الإصابة بالمرض، لكن قد يصاب المريض بأعراض تشبه الإنفلونزا العاديّة عند بداية إصابته بالمرض، ثم تختفي هذه الأعراض بعد أسبوعين على الأكثر، وهي تشبه أعراض الإنفلونزا العاديّة، كإرتفاع في درجات الحرارة، والشّعور بالصّداع الشديد، والشعور كذلك بآلام في الحنجرة، كما يلاحظ المريض حدوث إنتفاخات في الغدد الليمفاويّة، وقد يصاب المريض بطفح جلدي. أمّا في المستوى الثاني من المرض وهو غير محدّد بوقت زمنيّ، فهو يختلف من شخص لآخر وتتراوح المدة ما بين السنة إلى التسع سنوات أو أكثر ، لكن هذا الفيروس في هذه المدة يكون قد تمكّن من جسم الإنسان ودمّر مناعته الجسديّة بشكل كبير، وفي هذا المستوى، قد تظهر بعض الأعراض على المريض، فقد يصاب بالإسهال الشدّيد،

وفقدان سريع للوزن، وإرتفاع في درجة حرارة الجسم، ويشعر المريض كذلك بضيق في التّنفس. و في المستوى الأخير من الإصابة بهذا الفيروس، تبدأ الأعراض الأكثر خطورة بالظّهور على جسم الإنسان بشكل واضح، فيصبح أكثر عرضة للإصابة بالسّرطانات المختلفة، وإلالتهابات الرئويّة الحادّة، بينما تكون الأعراض المزمنة التي تلازم المريض تتلخص في الآتي: الإسهال المزمن، والصّداع الدائم، وفقدان كبير للوزن، وحدوث إضطراب في الرؤية، وظهور نقاط بيضاء دائمة وجروح غريبة في اللّسان وجوف الفم، كما ويعاني المريض من القشعريرة الدائمة أو الحمى الدائمة وكذلك من التعرّق اللّيلي الزائد. أمّا طرق الإصابة بهذا المرض فهي محدّدة، من أهمّها وأشهرها الممارسات الجنسيّة غير المشروعة بين الذكر والأنثى، حيث ينتقل الفيروس من الشخص المصاب للشخص السليم، ومن الحالات التي ينتقل فيها هذا الفيروس أيضاً، نقل الدّم من شخص مصاب إلى شخص سليم، فينتقل المرض و يصاب به شخص سليم ربما نتيجة خطأ طبيّ، وقد ينتقل أيضاً عن طريق استخدام الإبر والحقن الملوّثة بهذا الفيروس، وينتقل كذلك من الأمّ الحامل - اذا كانت مصابة- إلى جنينها في مدة الحمل، وينتقل كذلك من الأمّ المرضع المصابة إلى طفلها عن طريق الرضاعة الطبيعيّة. ويعتبر هذا المرض من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان، وهذا المرض مشكلة صحيّة خطيرة تواجه المجتمع كلّه، وذلك لأنّ هذا المرض لا يمكن علاجه لحد الآن، وكذلك فإنّ عدد وفياته في العالم تشكّل نسبة كبيرة، ففي عام ٢٠٠٨م كانت وفيات هذا المرض قد تجاوزت المليوني مريض، و لعدم اكتشاف اي علاج فعال و لا لقاح ضد هذا المرض ، فقد اصبحت الوقاية هي الوسيلة المتاحة للتصدي لهذا المرض الخبيث،

ولأن هذا الداء الخطير ربما يتعرض له الشباب ، الذين هم عماد الامة في المستقبل وقوتها، والذين يدرس الكثير منهم في الجامعات والمدارس حيث التجمعات المؤدية لانتشار المرض لذا يستدعي الأمر ان يقف الجميع وقفة انتباه و مراجعة تبحث عن كيفية التصدي للمرض لمنع انتشاره وتكاثره، وذلك عبر الحماية او الوقاية ليس بالوسائل الحسية فحسب ولا بالاخلاقية وحدها، بل بالاثنين معا، وهو ما يجتمع في الوقاية الاسلامية، حتى يعرف كل منا واجبه ودوره، وحتى تقوم الجهات المعنية بدورها المنوط بها لأن الوقاية او تدابيرها في الاسلام امر اصيل، وهي تحت قاعدة سد الذرائع، التي تقضي باغلاق جميع السبل المؤدية الى المحرمات او الى الضرر، كما ان من الوقاية اتباع ما أمر به الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و هو القائل: (من لم يستطع الباءة فليصم) أي ان الصوم يعد حماية ووقاية ، و هذه الطريقة خير وسيلة في مواجهة مرض الايدز، وحتى لايتوهم اننا نحن المسلمين نريد ان نفرض وجهة نظرنا على الاخرين ونزايد عليهم، فاننا نوضح ان في الكتاب المقدس عند اهل الكتاب عدة نصوص تتضمن تلك المعاني التي ينطوي عليها حديث الرسول الكريم محمد، حيث الدعوة للعفة والنقاء والوقاية من كل الموبقات، فهل فكرنا في ان نخاطب الغربيين وغيرهم بهذا الاسلوب ممن انتشر عندهم الايدز، هذا المرض الفتاك، و نذكر لهم تعاليم رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم، لمعالجة امر الشهوات الطاغية المنفلتة لدى شباب الغرب لدرجة انهم لا يعرفون اين يفرغونها، الا بالوسائل المحرمة مما يؤدي الى اصابتهم بمثل هذا المرض القاتل، و لهذه المناسبة نرى انه يجب على الدولة وافراد المجتمع الاجتهاد في تبسيط امر الزواج للشباب في وقت مبكر، و مساعدتهم خاصة اثناء مدة دراستهم في الجامعة، او بداية عملهم في المؤسسات المختلفة، وتوفير الوظائف المناسبة لهم، و هكذا يتحصن ابناء المجتمع، و لا ينحرف بعضهم، و يسلمون من التعرض للامراض المعدية و منها مرض الايدز القاتل.

كـن ذاتـك

كتابة : د. ربى شعراني
استاذة جامعية من لبنان

إننا جميعاً نتطلع إلى السعادة ونبحث عنها .
لكن السعادة ليست هدفاً في ذاتها . إنها نتاج عملك لما تحب ، وتواصلك والآخرين بصدق .
إن السعادة تكمن في أن تكون ذاتك ، أن تصنع قراراتك بنفسك، أن تعمل ما تريد لأنك تريده ، أن تعيش حياتك مستمتعاً بكل لحظة فيها .إنها تكمن في تحقيقك استقلاليتك عن الآخرين.
إنك في الواقع تعيش حياة غير سعيدة عندما لا تحيا حياتك على سجيتها ، حيث ينتابك إحساس بأن حياتك لا غاية منها ، ولا معنى لها.
إنك في حاجة لهدف يوجه حياتك .
لا يكفي أن تكون جادّاً ومجتهداً مثل النملة. فما هو الشيء الذي تجتهد من أجله؟ يتساءل "جيمس ثوربر"
أما "فريدريك نيتشه" فيقول :
من يعرف السبب الذي يعيش من أجله يستطيع تحمل العيش بأي طريقة تكون.
و قال "جيمس برانش كابيل" :
ليس هناك شيء يعطيك أكبر قدرة من الحرية أكثر من أن تحارب من أجل قضية أكبر من ذاتك ،شيء يشملك، ولكنه غير محدد أو مقيّد بوجودك وحده.
أن تعرف هدفك في الحياة فإنه بمثابة الخطوة الأولى لتتعرف على ذاتك وتكونها. أن تعرف أنك ما خلقت عبثاً وإنما تحمل أمانة ناءت عن حملها السماوات والأرض والجبال..
إن تعاستك ، في الواقع ، لا تعدو أن تكون ومضة برق تلوح لك لتتذكر أن هناك ما ينبغي فعله لتسترد سعادتك.
إن تحقيق السعادة يكمن في أن تفهم نفسك وتقبلها كما هي الآن .
هذا هو الوقت المناسب لتحقيقها .
و أنت الشخص الوحيد الذي يمكنه القيام بذلك .

فاعرف أخطاءك

و لكن لا تسمح لوجودها أن يصبح عذراً تلتمسه لعدم حبك لذاتك كما هي .

أخلص نيّتك

إن إخلاص النيّة هو أن تقوم بعملك بدافع حفظ الأمانة التي وكّلت بها.
إن إخلاص النيّة ليس بالشيء العسير .
إذا كنت تتمتع بإخلاص النيّة ، سيمكنك حينئذ أن تحظى بالأنس والسكينة .
يمكنك أن تحظى بالسكينة عند عفوك عن الآخرين، عند مواجهتك موقفاً صعباً، عند تقبلك الجديد وعزمك على الثبات على مبادئك وقيمك. فطالما نيّتك خالصة للّه طالما أنت في أمان.

تقبل ذاتك

تقبل استقلالك ، وعبر عن ذاتك ، وكن على استعداد لأن تسلك طريقك بمفردك.
كلنا معرض للخطأ ، لكن أنت لديك الحرية كي تصحح أخطاءك .
عندما لا تقبل ذاتك ، فإنك تصبح شديد الحساسية تجاه رفض الآخرين لك .
عندما لا تقبل ذاتك ، فإنك تفقد إيمانك بقدراتك الداخلية، في كل مرة تحاول التغلب على جوانب ضعف مترسبة فيك.
عندما لا تقبل ذاتك ، فإنك تضيّع الوقت باحثاً عن حب الآخرين حتى تصبح متكاملاً .
عندما لا تقبل ذاتك ، تنحصر جهودك في محاولة قهر الآخرين وليس في البحث عن أفضل إمكانياتك.
عندما لا تقبل ذاتك ، فإنك تعيش في الماضي .
إن قبول الذات ليس مستحيلاً ، إنه الوضع الوحيد الذي تستطيع تحقيق التطور بوساطته.
إن قبولك لذاتك أمر أساسي .فحينما تقبل ذاتك ، يمكنك قبول العالم كله .
وفي الحديث النبوي الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". فالخطوة الأولى للإيمان إذن هي أن تحب نفسك لتستطيع أن تحب غيرك. وهذا يستلزم بداية تقبلك لذاتك وأن تكون ذاتك.

الفساد الإداري ... مفهومه ومظاهره وأسبابه

ياسر خالد بركات الوائلي
كاتب من العراق

تعتبر ظاهرة الفساد الإداري والمالي بصورة خاصة ظاهرة عالمية شديدة الانتشار ذات جذور عميقة تأخذ إبعاداً واسعة تتداخل فيها عوامل مختلفة يصعب التمييز بينها، وتختلف درجة شموليتها من مجتمع إلى آخر. إذ حظيت ظاهرة الفساد في الآونة الأخيرة باهتمام الباحثين في مختلف الاختصاصات كالاقتصاد والقانون وعلم السياسة والاجتماع، كذلك تم تعريفه بموجب بعض المنظمات العالمية حتى أضحى الفساد ظاهرة لا يكاد يخلو مجتمع أو نظام سياسي منها.

وهنا نسلط الضوء على مفهوم الفساد، مظاهره، أسبابه والآثار وانعكاساته المؤثرة .

أولاً:- تحديد مفهوم الفساد.

يقتضي الاتفاق في معظم البحوث الجامعية تحديد معنى المصطلحات المستخدمة ومضمونها حتى ينحصر الجدل في إطاره الموضوعي، واستناداً إلى ذلك، فإنه علينا تعريف الفساد لغةً واصطلاحاً.

الفساد لغةً:- الفساد في معاجم اللغة هو من (فسد) ضد صَلُحَ (والفساد) لغة البطلان، فيقال فسد الشيء أي بطُلَ واضمحل، ويأتي التعبير على معانٍ عدة بحسب موقعه. فهو (الجدب أو القحط) كما في قوله تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الروم الآية٤١) أو (الطغيان والتجبر) كما في قوله تعالى: لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا (القصص الآية٨٣) أو (عصيان لطاعة الله) كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية٣٣) ونرى في الآية الكريمة السابقة تشديد القرآن الكريم على تحريم الفساد على نحو كلي، وإن لمرتكبيه الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

الفساد اصطلاحاً:- ليس هناك تعريف محدد للفساد بالمعنى الذي يستخدم فيه هذا المصطلح اليوم، لكن هناك اتجاهات مختلفة تتفق على كون الفساد هو إساءة استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة للكسب الخاص.

ويحدث الفساد عادة عندما يقوم موظف بقبول أو طلب ابتزاز رشوة لتسهيل عقد أو إجراء طرح لمناقصة عامة. كما يمكن للفساد إن يحدث عن طريق استغلال الوظيفة العامة من دون اللجوء إلى الرشوة وذلك بتعيين الأقارب ضمن منطق (المحسوبية والمنسوبية) أو سرقة أموال الدولة مباشرةً.

إن ظاهرة الفساد الإداري ظاهرة طبيعية في المجتمعات الرأسمالية حيث تختلف درجات هذا الفساد إلى اختلاف تطور مؤسسة الدولة. إما في بلدان العالم الثالث فإن فساد مؤسسات الدولة وتدني مستويات الرفاه الاجتماعي قد وصل إلى أقصى المديات، وهذا ناتج عن درجة التخلف وازدياد معدلات البطالة. فالفساد قد ينتشر في البنى التحتية في الدولة والمجتمع، وفي هذه الحالة يتسع وينتشر في الجهاز الوظيفي ونمط العلاقات المجتمعية فيبطيء من حركة تطور المجتمع ويقيد حوافز التقدم الاقتصادي.

هذا و إن الآثار المدمرة والنتائج السلبية لتفشي هذه الظاهرة المقيتة تطال كل مقومات الحياة لعموم أبناء الشعب، فتهدر الأموال والثروات والوقت والطاقات وتعرقل أداء المسؤوليات وإنجاز الوظائف والخدمات، وبالتالي تشكل منظومة تخريب وإفساد

تسبب مزيداً من التأخير في عملية البناء والتقدم ليس على المستوى الاقتصادي والمالي فقط، بل في الحقل السياسي والاجتماعي والثقافي، ناهيك عن مؤسسات ودوائر الخدمات العامة ذات العلاقة المباشرة واليومية مع حياة الناس.

إن الفساد له آلياته وآثاره ومضاعفاته التي تؤثر بنسيج المجتمعات وسلوكيات الأفراد وطريقة أداء الاقتصاد وتعيد صياغة (نظام القيم) وهناك آليتان رئيسيتان من آليات الفساد:

١. آلية دفع (الرشوة) و(العمولة المباشرة) إلى الموظفين والمسؤولين في الحكومة، وفي القطاعين العام والخاص لتسهيل عقد الصفقات وتسهيل الأمور لرجال الأعمال والشركات الأجنبية.

٢. وضع اليد على (المال العام) والحصول على مواقع متقدمة للأبناء والأصهار والأقارب في الجهاز الوظيفي.

وهذا النوع من الفساد يمكن تسميته بـ(الفساد الصغير) وهو مختلف تماماً عما يمكن تسميته بـ(الفساد الكبير) المرتبط بالصفقات الكبرى في عالم المقاولات وتجارة السلاح، ويحدث مثل هذا الفساد الكبير عادةً على المستويين السياسي والبيروقراطي مع ملاحظة إن الأول يمكن أن يكون بدرجة أو بأخرى مستقلاً عن الثاني، أو يمكن أن تكون بينهما درجة عالية من التداخل والتشابك. إذ عادةً ما يرتبط (الفساد السياسي) بالفساد المالي حين تتحول الوظائف البيروقراطية العليا إلى أدوات للإثراء الشخصي المتصاعد للسياسيين.

ومع تعدد التعاريف المتناولة لمفهوم الفساد، إلى أنه يمكن القول إن الإطار العام للفساد ينحصر في سوء استعمال السلطة أو الوظيفة العامة وتسخيرها لقاء مصالح ومنافع تتعلق بفرد أو بجماعة معينة.

ثانياً:- مظاهر الفساد:

والفساد من حيث مظهره يشمل أنواعا عدة منها:-

١. الفساد السياسي: ويتعلق بمجمل الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام التي تنظم عمل النسق السياسي (المؤسسات السياسية) في الدولة. ومع أن هناك فارقا جوهريا بين المجتمعات التي تنتهج أنظمتها السياسية أساليب الديمقراطية وتوسيع المشاركة، وبين الدول التي يكون فيها الحكم شمولياً ودكتاتورياً، لكن العوامل المشتركة لانتشار الفساد في كلا النوعين من الأنظمة تتمثل بنسق الحكم الفاسد (غير الممثل لعموم الأفراد في المجتمع وغير الخاضع للمساءلة الفعالة من قبلهم) وتتمثل مظاهر الفساد السياسي بـ : الحكم الشمولي الفاسد، وفقدان الديمقراطية، وفقدان المشاركة، وفساد الحكام وسيطرة نظام حكم الدولة على الاقتصاد وتفشي المحسوبية.

٢. الفساد المالي:- ويتمثل بمجمل الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام المالية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها ومخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية كالجهاز المركزي للرقابة المالية المختص بفحص ومراقبة حسابات وأموال الحكومة والهيئات والمؤسسات العامة والشركات، ويمكن ملاحظة مظاهر الفساد المالي في: الرشاوى والاختلاس والتهرب الضريبي وتخصيص الأراضي والمحاباة والمحسوبية في التعيينات الوظيفية.

٣. الفساد الإداري:- ويتعلق بمظاهر الفساد والانحرافات الإدارية والوظيفية أو التنظيمية وتلك المخالفات التي تصدر عن الموظف العام إثناء تأديته لمهام وظيفته في منظومة التشريعات والقوانين والضوابط ومنظومة القيم الفردية التي لا ترقى للإصلاح وسد الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين التي تغتنم الفرصة للاستفادة من الثغرات بدل الضغط على صناع القرار والمشرعين لمراجعتها

وتحديثها باستمرار. وهنا تتمثل مظاهر الفساد الإداري بـ : عدم احترام أوقات ومواعيد العمل في الحضور والانصراف أو تمضية الوقت في قراءة الصحف واستقبال الزوار، والامتناع عن أداء العمل أو التراخي والتكاسل وعدم تحمل المسؤولية وإفشاء أسرار الوظيفة والخروج على العمل الجماعي.

والواقع إن مظاهر الفساد الإداري متعددة ومتداخلة وغالباً ما يكون انتشار احدها سبباً مساعداً على انتشار بعض المظاهر الأخرى.

٤. الفساد الأخلاقي:- والمتمثل بمجمل الانحرافات الأخلاقية والسلوكية المتعلقة بسلوك الموظف الشخصي وتصرفاته. كالقيام بإعمال مخلة بالحياء في أماكن العمل أو أن يجمع بين الوظيفة وأعمال أخرى خارجية من دون إذن إدارته، أو أن يستغل السلطة لتحقيق مآرب شخصية له على حساب المصلحة العامة أو أن يمارس المحسوبية بشكلها الاجتماعي الذي يسمى (المحاباة الشخصية) من دون النظر إلى اعتبارات الكفاءة والجدارة.

لظاهرة الفساد، يمكن القول أن عوامل مختلفة تقف وراء شيوع هذه الظاهرة تتناغم في شدتها ودرجتها طردياً مع تنامي ظاهرة الفساد منها عدم وجود نظام سياسي فعّال يستند إلى مبدأ فصل السلطات وتوزيعها بشكل انسب أي غياب دولة المؤسسات السياسية والقانونية والدستورية وعند هذا المستوى تظهر حالة غياب الحافز الذاتي لمحاربة الفساد في ظل غياب دولة المؤسسات وسلطة القانون والتشريعات تحت وطأة التهديد بالقتل والاختطاف والتهميش والإقصاء الوظيفي. وهناك عامل آخر يتعلق بمدى ضعف الممارسة الديمقراطية وحرية المشاركة الذي يمكن أن يسهم في تفشي ظاهرة الفساد الإداري والمالي ذلك أن شيوع حالة الاستبداد السياسي والدكتاتورية في العديد من البلدان يسهم بشكل مباشر في تنامي هذه الظاهرة وعندها يفقد النظام السياسي أو المؤسسة السياسية شرعيتها في السلطة وتصبح قراراتها متسلطة بعيدة عن الشفافية، فضلاً عن حرية نشاط مؤسسات المجتمع .

ثالثاً:- أسباب الفساد وانعكاساته:

للفساد أسباب وانعكاسات عديدة يمكن ملاحظتها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، على أن هذا لا يعني أن الفساد مقتصر على وجود هذه العوامل الثلاث ولكن لأغراض البحث العلمي ولأهمية هذه العوامل في بنية وتكوين المجتمع يمكن رصد هذه الأسباب. ففيما يتعلق بالجوانب والأسباب السياسية الملازمة

كما يمكن لظاهرة الفساد أن تأخذ مداها وتبلغ مستوياتها في ظل عدم استقلالية القضاء وهو أمر مرتبط أيضاً بمبدأ الفصل بين السلطات إذ يلاحظ في معظم البلدان المتقدمة والديمقراطية استقلالية القضاء عن عمل وأداء النظام السياسي وهو ما يعطي أبعاداً أوسع فعالية للحكومة أو النظام السياسي تتمثل بالحكم الصالح والرشيد، فاستقلالية القضاء مبدأ ضروري وهام يستمد أهميته من وجود سلطة قضائية مستقلة نزيهة تمارس عملها بشكل عادل وتمتلك سلطة رادعة تمارسها على عموم المجتمع بلا تمييز. وهنا فأن السلطة الرادعة هذه تعتبر من أهم مقومات عمل السلطة القضائية لتأخذ دورها في إشاعة العدل والمساواة بين أفراد المجتمع.



و هناك عامل آخر يمكن أن يسهم في تفشي ظاهرة الفساد يتمثل بقلة الوعي (الوعي السياسي) وعدم معرفة الآليات والنظم الإدارية التي تتم بوساطتها ممارسة السلطة. وهو أمر يتعلق بعامل الخبرة والكفاءة لإدارة شؤون الدولة.

يضاف إلى العوامل والأسباب السياسية المتعلقة بظاهرة الفساد عوامل أخرى كالعوامل الإقتصادية من مثل: غياب الفعالية الاقتصادية في الدولة ذلك أن اغلب العمليات الاقتصادية الفاسدة هي عبارة عن صفقات تجارية مشبوهة أو ناتجة عن عمليات سمسرة يحتل الفساد المالي فيها حيزاً واسعاً، وهو ما سينعكس بصورة أو بأخرى على مستوى وبنية الاقتصاد الوطني، إذ ستؤثر هذه العمليات على مدى سير عملية تنفيذ المشاريع وبالتالي على عملية الإنتاج. من جهة أخرى، أن مستوى الجهل والتخلف والبطالة يشكل عاملا حاسما في تفشي ظاهرة الفساد ذلك أن قلة الوعي الحضاري ظلت ملازمة أو ملتزمة بالرشوة. كما أن ضعف الأجور والرواتب تتناسب طردياً وازدياد ظاهرة الفساد.

و هذه العوامل والأسباب الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة لظاهرة الفساد، يمكن رصد بعض آثارها الاقتصادية مثل :

١. يساهم الفساد في تدني كفاءة الاستثمار العام واضعاف مستوى الجودة في البنية التحتية العامة وذلك بسبب الرشاوى التي تحد من الموارد المخصصة للاستثمار وتسيء توجيهها أو تزيد من كلفتها.

٢. للفساد أثر مباشر في حجم ونوعية موارد الاستثمار الأجنبي، ففي الوقت الذي تسعى فيه البلدان النامية إلى استقطاب موارد الاستثمار الأجنبي لما تنطوي عليه هذه الاستثمارات من إمكانات نقل المهارات والتكنلوجيا، فقد أثبتت الدراسات أن الفساد يضعف هذه التدفقات الاستثمارية وقد يعطلها مما يمكن أن يسهم في تدني إنتاجية الضرائب وبالتالي تراجع مؤشرات التنمية البشرية خاصةً فيما يتعلق بمؤشرات التعليم والصحة.

٣. يرتبط الفساد بتردي حالة توزيع الدخل والثروة، من استغلال أصحاب النفوذ لمواقعهم المميزة في المجتمع وفي النظام السياسي، مما يتيح لهم الاستئثار بالجانب الأكبر من المنافع الاقتصادية التي يقدمها النظام بالإضافة إلى قدرتهم على مراكمة الأصول بصفة مستمرة مما يؤدي إلى توسيع الفجوة بين هذه النخبة وبقية أفراد المجتمع.

كما يمكن لظاهرة الفساد أن تنمو وتتزايد بفعل عوامل اجتماعية ضاربة في بنية وتكوين المجتمعات البشرية ونسق القيم السائدة، إذ تلعب العادات والتقاليد الاجتماعية وسريانها دوراً في نمو هذه الظاهرة أو اقتلاعها من جذورها وهذه العادات والتقاليد مرتبطة أيضاً بالعلاقات القبلية السائدة في المجتمع كما أن التنظيم الإداري والمؤسسي له دور بارز في تقويم ظاهرة الفساد بوساطة العمل على تفعيل النظام الإداري ووضع ضوابط مناسبة لعمل هذا النظام وتقوية الإطار المؤسسي المرتبط بخلق تعاون وتفاعل ايجابي بين الفرد والمجتمع والفرد والدولة استناداً إلى علاقة جدلية تربط بينهما على أساس ايجابي بناء يسهم في تنمية وخدمة المجتمع.

وهناك عامل آخر لا يقل أهمية عن العوامل السابقة يتمثل بغياب الثقة في تطبيق المثل الإنسانية.

ومن هذه الأسباب والآثار المتعلقة بظاهرة الفساد، يمكن أن نسلط الضوء على تجربة اي دولة في الفساد الإداري، أو المالي ومدى خطورة هذه الظاهرة منذ نشأتها وأهم أسبابها وانعكاساتها، وصولاً إلى وضع الخطط والسبل الكفيلة للحد من هذه الظاهرة الوبائية في المجتمعات عموماً.

AVERROES COLLEGE

مدرسة أفروس كوليج | تعلبايا



لصاحبها
الدكتور
بلال ملحم
الحشيمي

تسجيل 2017 - 2018 صفوفها من الحضانة حتى الثانوي 08508111 - 03325434

كي تنجح إداراتنا

كتابة : الأستاذ كمال الدين العفش
محاضر جامعي وناشط اجتماعي من لبنان



يعزو كثير منا أسباب تخلفنا غالباً إلى الاستعمار و قد طور بعضهم المفهوم باستخدام مصطلح نظرية المؤامرة علماً بأن غيرنا من الشعوب التي كانت تعتبر متخلفة استفادت من علم الإدارة لتساهم في نهضة و تقدم شعوبها، و وصل الأمر ببعض هذه الدول لتصبح في مصاف الدول المتقدمة صناعياً و علمياً بصورة خاصة و اقتصادياً بشكل عام، مما ادى إلى تطور اجتماعي و تنموي ملحوظ.

و بالمقابل برز مسمى "إدارة الجودة الشاملة" كمصطلح جديد أطلقه عديد من كتاب علم الإدارة في العالم على مدى سنوات القرن الماضي، و أشهرهم المهندس الأميركي "دومينغ" ، و هو الإداري الناجح الذي عمل مستشاراً لكثير من الشركات اليابانية، و ساهم في إعداد استراتيجيات العديد من هذه الشركات في حقبة صعودها الاقتصادي. و كما بات معروفاً لدى الاقتصاديين أنه و بسبب ارتفاع مستويات المنافسة في السوق العالمية لا بد من اللجوء إلى تحسين الجودة أو خفض الأسعار.

و كما ذكرنا فقد عمل اليابانيون على تطوير مقاربتهم الخاصة لضبط الجودة الشاملة استناداً إلى تعاليم "دومينغ" ، و قبولها على نحو يلائم ثقافتهم و بيئة العمل لديهم، كما عملوا على تطوير مجموعة جديدة من الأدوات و التقنيات و أنظمة التشغيل، و قد تم تعريف ضبط الجودة الشاملة كما يلي:" يتمثل ضبط الجودة بتطوير المنتجات و الخدمات و تصميمها و إنتاجها و تسويقها و تقديمها مع الحفاظ على أعلى مستوى من فعالية الكلفة و الإفادة، بحيث يقدم الزبائن على شرائها برضا تام و لا بد من تعاون أقسام المنشأة المختلفة في العمل معاً من أجل تحقيق هذه الغايات".

و تم تضمين مفهوم ضبط الجودة الشاملة ثلاثة عوامل أساسية و كما يلي:

أ-إشتمال نشاطات الجودة على وظائف أخرى غير التصنيع.

ب-مشاركة الموظفين في مختلف المستويات و السعي لتحسين مؤهلاتهم و قدراتهم بصورة مستمرة.

ج-الاهتمام البالغ بتعريفات الزبائن للجودة.

و بعد هذا التمهيد يبدو لزاماً على مجتمعاتنا البحث الجاد عن سبل النهوض التنموي بوساطة نشر الوعي الإداري في كل الاتجاهات وبنشر الوعي الإداري في الاتجاهات كافة، سواء في المنشآت الاقتصادية أو الجمعيات الاجتماعية أو الإدارات العامة و المصالح المستقلة.

لذلك فمن بين المقترحات النهضوية ما يلي:

١-معالجة مشكلة الانحراف الإداري، و هو أحد أخطر جوانب الظاهرة البيروقراطية و يتمثل بشيوع السلوك الانتهازي الأناني و شيوع الوساطة و المحاباة و لا شك أن الانحراف الإداري انتهاك لكل الأخلاقيات و القيم.

٢-تحسين مستوى الكفاءة: فمجتمعاتنا و مؤسساتنا تعاني من انخفاض ملحوظ في مستوى الكفاءة الإدارية، و هذا يمثل وجهاً سلبياً آخر من وجوه البيروقراطية، إما بسبب كثرة القيود الاجرائية أو أحياناً بسبب التمسك بحرفية القوانين و اللوائح، و أحياناً أخرى نتيجة من شيوع المناخ الإحباطي لدى الإدارة و الافراد.

٣-العمل على حل مشكلة الاستبداد بالسلطة: حيث أن هذه الظاهرة مع الأسف تعم مؤسساتنا، و ذلك عندما ينتهز الاداري فرصة تمتعه بسلطة معينة و يتعسف في ممارسته لحقه بها.

٤-الجهد باتجاه تخفيض التكاليف: و يقصد بذلك العمل الدؤوب باتجاه البحث عن تكلفة اقتصادية منخفضة نسبياً لكل من الانتاج أو الخدمة.

٥-اعتماد الأساليب العلمية: أي تغليب الحلول و الوسائل العلمية في مواجهة أي معضلة إدارية، و عدم اعتماد اي اساليب عفوية أو غير منهجية بحجة الابتكار أو التذرع بأن الإدارة هي فن أيضاً و ليست علما من العلوم.

٦-البحث المستمر عن الوسائل التي تؤمن الانسجام بين أعضاء الفريق و التركيز في أهمية فض النزاعات التي قد تنشأ بين الزملاء العاملين في المنشأة.

٧- ملاحظة موضوع عدم المبالغة في عدد الأهداف حيث لا مجال لكثرتها موازنة بالوقت و الجهود المتوافرة الضرورية لإنجاز العمل.

٨-الاهتمام الدائم بحاجات العاملين بغية إشباعها قدر الإمكان و في ذلك تحفيز لأعضاء الفريق و تشجيعهم على زيادة إنتاجيتهم.

٩-تأمين أكبر مشاركة للعاملين في عملية اتخاذ القرارات على مستوى المنشأة، و بالتحديد تلك التي تتعلق بمستقبلهم، و قد تكون الطريقة المثالية لبلوغ ذلك وضع صناديق اقتراحات و التعامل مع مضامينها بكل جدية و دراستها أيضاً بقدر كبير من الاستفاضة و العناية.

١٠-استثمار التقنيات الحديثة التي تؤمن التواصل الفعال بين كل مستويات الهيلكية الإدارية لأي منشأة.

١١-اعتماد نظام ترقية للعاملين بالغ الشفافية على أن يتألف من جملة نقاط محددة و معايير ثابتة تؤشر حسن تطبيق نظام الترفيع، و تعتمد بشكل اساسي على جودة الخدمة، التي يقوم بها كل عامل، وقد بلغ الأمر ببعض الشركات الهامة في الدول الصناعية بأن يقوم كل موظف بتقويم أدائه بمفرده.

١٢-بعض النظريات الحديثة في الإدارة تفرض تخصيص قسم أو دائرة تهتم بتحديد مناطق الضعف في أداء الموظفين بغية تقديم العلاج الملائم لهكذا حالات، زيادة على العمل على وضع العامل المناسب في العمل الملائم.

١٣-ضرورة توصيف كل وظيفة من الوظائف في المنشأة بهدف تعزيز التخصص و عدم التضارب في الصلاحيات، و من أجل تحديد المسؤوليات أفضل تحديد.

١٤-تفعيل دور الرقابة بمستوياتها المعروفة، و التي تتضمن تحديد معايير مسبقة لقياس الأداء، و بعدها موازنة النتائج بهذه المعايير، و تحديد الفروقات وصولاً إلى اتخاذ الإجراءات التصحيحية.

١٥-رفع المستوى الثقافي للعاملين بوساطة محاضرات متخصصة، و توزيع نشرات دورية تتضمن تعليمات محددة و الطلب من العاملين الالتزام بمفاهيم التعاون بين الزملاء، و تقبل النقد البناء، و العمل على ضبط السلوك الفردي، و التأكيد على اعتماد لغة واضحة و غير ملتوية عند التخاطب و التواصل بين افراد المنشأة.

و بالنتيجة فمن المعلوم أن كل الإدارات بما في ذلك إدارة الموارد البشرية تعمل على تحقيق النجاح و التغلب على المشاكل والازمات، و ذلك بإعتماد الأسس العلمية التي تؤمن التقدم و الرقي، مع السعي الحثيث للاستخدام الذكي للموارد المتاحة، و في مقدمتها الانسان كما قال "بيتر دريكر" : (بأن المنظمة لها مورد واحد حقيقي هو الانسان).

الطائفية السياسية في لبنان من نظام القائمقاميتين إلى اتفاق الطائف



الدكتور علي معطي
كاتب و مؤرخ من لبنان

الطائفية في نظام القائمقاميتين:

طرحت مسألة الطائفية في لبنان على بساط البحث في عام ١٨٤٢ م عندما اقترح رئيس وزراء النمسا كليمنس مترنيخ تقسيم منطقة جبل لبنان إلى منطقتين إداريتين: شمالية يتولى إدارة شؤونها قائمقام ماروني، و جنوبية يتولى إدارة شؤونها قائمقام درزي، و ذلك لمعالجة الأحداث الطائفية التي وقعت في عام ١٨٤١م بين الدروز و النصارى في تلك المنطقة.

و على الرغم من أن الحكومة العثمانية قد رحبت بالاقتراح، إلا ان وزير خارجيتها شكيب أفندي، و قبل أن يغادر الأستانة إلى بيروت، بعث بمذكرة إلى سفراء الدول الأوروبية الخمس، بريطانيا و فرنسا و النمسا و روسيا و بروسيا، ضمنها الخطوط الكبرى للتسوية التي تنوي حكومته اتخاذها لحل الأزمة.

و فور وصوله إلى لبنان، استدعى الوزير العثماني قناصل هذه الدول، و اجتمع بهم في بيروت، و حثهم على الإقلاع عن التدخل في شؤون البلاد الداخلية، و على استدعاء رعاياهم مؤقتا من جبل لبنان إلى بيروت. ثم باشر بتطبيق الإجراءات التي يراها ضرورية لإعادة الهدوء إلى الجبل، و ثبت نظام القائمقاميتين، و زاد عليه مجلساً في كل قائمقامية يراسه القائمقام، و قاض و مستشار عن كل طائفة من طوائف الجبل. ثم عين أعضاء مجلسي القائمقاميتين لمدى الحياة، و قضى بأن يكون لرؤساء الطوائف المعينة حق تعيين من يملأ المراكز الشاغرة عند الحاجة، بالاتفاق مع القائمقام و أعضاء مجلسه، و بموافقة والي صيدا.

و مع أن القائمقام و أعضاء مجلسه كانوا مجرد موظفين عامين يعينهم والي صيدا رسمياً و يدفع لهم رواتب خدماتهم، إلا أنه قد كان لنظام القائمقاميتين أهمية خاصة في التاريخ اللبناني، إذ كان بداية خضوع الإدارة العثمانية لمشيئة الدول الكبرى بإعطاء لبنان وضعاً خاصاً في بلاد الشام.كما كان بحد ذاته، مصدراً للقلق، إذ كرس الانقسام الطائفي في البلاد، و عمق الخلافات و الصراعات الطائفية بين الدروز و المسيحيين، و زاد في حدة المذابح بين الجانبين، التي وصلت الى ذروتها عام ١٨٦٠م مما أجبر الدولة العثمانية و الدول الأوروبية الكبرى على الغاء نظام القائمقاميتين، و إعادة الوحدة الى الجبل، و وضع نظام جديد له، و كان ذلك في عام ١٨٦٠م حيث ظهر على مسرح السياسة في جبل لبنان بروتوكول المتصرفية الشهير.

الطائفية في نظام المتصرفية:

أعطى نظام المتصرفية الجديد للبنانيين استقلالاً إدارياً في الجبل، و منحهم حق التصرف بشؤونهم الداخلية بانفسهم. و لكن في الوقت ذاته توسع هذا النظام في الاعتماد على الطائفية و في ترسيخ قواعدها، ذلك أن برتوكول ١٨٦١م قد قرر أن يتولى جبل لبنان متصرف مسيحي من التابعية العثمانية و من غير أهله، و يكون تابعاً للباب العالي مباشرة، و أن يساعده في حكم البلاد مجلس إدارة من إثني عشر عضواً يمثلون مختلف الطوائف اللبنانية، على أن يمثل كل طائفة عضوان اثنان.و بعد تعديل هذا النظام عام ١٨٦٤م، أصبح التمثيل الطائفي في مجلس الإدارة على الشكل التالي: أربعة عن الموارنة، و ثلاثة عن الدروز، و اثنان عن الأرثوذكس، و واحد عن السنة، و واحد عن الشيعة، و واحد عن الكاثوليك.

و إلى جانب ذلك، كان المتصرف يعين في المراكز الإدارية رئيساً لكل قضاء باسم قائمقام، و لكل مديرية أو ناحية مديراً من الطائفة الأكثر عدداً، أما القرى فينتخب لكل منها موظف باسم شيخ صلح





يعتبر مندوباً ثانوياً في انتخاب العضو الإداري عن منطقته و له الحق بأن يحكم في قريته في الدعاوى البسيطة و لا سيما المالية التي لا تتجاوز المئتي قرش، و هكذا حتى تجذرت الطائفية في لبنان، و اتخذت أساساً للتوظيف في تلك الحقبة، و ذلك بمقتضى العرف و بدون أي نص في النظام الأساسي، بحجة الحيلولة و وقوع أي نزاع بين الطوائف.فكان مثلاً وكيل الرئاسة في المجلس الإداري مارونياً، و مدير القلم التركي ارثوذكسياً، و مدير قلم الأوراق من الروم الكاثوليك، و رئيس دائرة الجزاء من الدروز، و هكذا سائر الموظفين، فقد كان كل منهم ذا لون طائفي خاص لا يمكن تبديله.

و يبدو أن اتفاق الدول الأوروبية الكبرى على هذا النظام، و مصادقتها على تعيين المتصرفين، و مراقبة أعمالهم، قد زاد في عمر المتصرفية اللبنانية، و في منح أهلها شيئا من الاستقرار السياسي و لو كان يتعثر أحياناً، و لكن ضيق حالة الجبل الاقتصادية دفعت بالعديد من اللبنانيين إلى ترك موطنهم و الهجرة إلى زوايا الأرض الأربع و خصوصاً إلى مصر و الأميركيتين، حتى انخفض عدد سكان لبنان بمعدل ٢٥٪ في هذه الحقبة. و قد قدرت أعداد المهاجرين اللبنانيين حتى عام ١٩١٤م بـــ ١٠٠٧٥٧ مهاجراً؛ مما دفع سكان جبل لبنان للمطالبة بضم مناطق جديدة إليه لتساعدهم على تأمين موارد إضافية، و قد تحقق لهم ذلك بعد الحرب العالمية الأولى التي انتهت بهزيمة ألمانيا و تركيا، و بانفصال البلاد العربية عن السلطنة العثمانية، و بوقوع لبنان و سوريا تحت الاحتلال الفرنسي.

الطائفية و الانتداب الفرنسي:

يقول الشيخ بشارة الخوري معلقاً على حكم الفرنسيين للبنان: و خابت آمالنا من وجهة الإصلاح الإداري، و تعسر الفرنسيون من اللحظة الأولى في طريق الأعمال التي قاموا بها لتحسين الحالة العامة،و استعانوا بـــ "ترضية الخواطر"، و تقلبوا مع الظروف، و لا خطة مثلى لهم في أعمالهم، و بدلاً من أن يرتفعوا فوق حزبياتنا الضيقة نزلوا في مضمارها و لم يحالفهم التوفيق، و ظلت الإدارة تتخبط في ذيول الخيبة.

ومن المؤكد أن الانتداب الفرنسي في لبنان قد لعب دوراً بارزاً في ترسيخ الطائفية السياسية،فاللجنة

الإدارية التي ألفها في عام ١٩٢٢م ، و المجالس التمثيلية التي أنشأها فيما بعد،كانت ترتكز كلها على قواعد طائفية،و كذلك مؤسسات الإدارة كان يغلب عليها اللون الطائفي الواحد المتعاون مع الانتداب.هذا فضلاً عن أساليب القهر التي اعتمدها في تغليب طائفة على أخرى، و في حرمان بعضها من الوصول إلى مراكز معينة،و هكذا كانت أعمال المفوضين الفرنسيين تصب في إطار زعزعة اللحمة الطائفية، و في إثارة النعرات الدينية. ففي عام ١٩٣٢م علق المفوض السامي بونسو الدستور و حل مجلس النواب لكي يمنع الشيخ محمد الجسر الذي كان يتولى رئاسة مجلس النواب حينذاك من الوصول إلى سدة الرئاسة الأولى، و في عام ١٩٤٣م، و قبل أن ينال لبنان استقلاله، فرض المندوب الهام هيللو قانوناً انتخابياً على اللبنانيين، جعل فيه أعضاء مجلس النواب ٥٥ عضواً: ٣٠ من المسيحيين و ٢٥ من المسلمين، و لم يطبق الفرنسيون الدستور طيلة مدة الانتداب التي بلغت ٢٣ عاماً، سوى ٩ سنوات فقط، مما يظهر بوضوح سياسة التعسف و الظلم التي مارسها الموظفون الفرنسيون في تلك المدة في لبنان.

أما الدستور اللبناني الذي وضع في ظل الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٦م ، فقد ظهرت الطائفية فيه بشكل جلي، فالمادة ٩٦ منه تنص على :"وزعت مقاعد مجلس النواب على الطوائف الدينية"، و كذلك المادة ٩٥ أبقت الاعتماد على الطائفية بصورة مؤقتة في تشكيل الحكومات و توزيع الحقائب الوزارية و في تعيين الموظفين الرسميين في المؤسسات و الإدارات، و لكن هذه الطائفية المؤقتة استمرت تفعل فعلها في نظامنا السياسي و في مؤسساتنا الإدارية إلى اليوم،حتى أضحت عبئاً يثقل علاقتنا و يهدد مصيرنا و مستقبلنا.

الطائفية بعد الاستقلال:

و على الرغم من أن البيان الوزاري لحكومة رياض الصلح الاستقلالية الأولى عام ١٩٤٣م قد ندد بالطائفية السياسية معتبراً اياها مقيدة للتقدم الوطني، و مسيئة لسمعة لبنان في الخارج، و مسممة لروح العلاقات بين الجماعات الروحية المتعددة التي يتالف منها الشعب اللبناني، إلا أن الميثاق الوطني الذي توافق عليه اللبنانيون عام ١٩٤٣ م كان ميثاقاً طائفياً، و كذلك فإن دستور لبنان المستقل هو دستور ١٩٢٦ م الطائفي الذي لم تلغ فيه أو تعدل المواد التي تنص على الطائفية و تسوغها. كما و أن قوانين الانتخاب التي صدرت في عهد كميل شمعون و فؤاد شهاب ظلت ترتكز على الأسس الطائفية ذاتها، و على نسبة ٥/٦ في توزيع أعضاء المجالس اللبنانية بين الطوائف اللبنانية و ايضاً العهود التي سبقت حرب السنتين (١٩٧٥م -١٩٧٦م) قد تمسكت بالطائفية السياسية إلى حد أن بعض هذه العهود قد شوه وجه هذه الطائفية و زاد من سلبياتها و مساوئها.

فكان من نتيجتها أن وقع لبنان في أتون من الصراعات و الحروب الطائفية المريرة كان أبرزها حرب عام ١٩٥٨م التي جرت في أواخر عهد كميل شمعون. و قد اشتعلت هذه الحرب ليس بسبب طائفية شمعون فحسب، بل راح في ممارسته للسلطة يبتعد شيئاً فشيئاً عن روح الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣م ، فلم يكتف بالتعيينات الكيفية في الإدارة و المؤسسات، بل أقدم عام ١٩٥٣م على تعديل قانون الانتخابات، فأنزل عدد أعضاء مجلس النواب من ٧٧ نائباً الى ٤٤، و ألغى المحافظة كدائرة انتخابية واحدة، فجاءت انتخابات ذلك العام بأكثرية مدينة له بانتخابها، و في عام ١٩٥٧م حاول إسقاط معظم الزعماء المعارضين لتجديد ولايته، في الانتخابات النيابية التي أجريت في أيار من ذلك العام.

و لم تستقر الأوضاع السياسية في لبنان إلاّ بعد أن جاء الرئيس فؤاد شهاب الذي خلف كميل شمعون في الحكم، و الذي حاول تحديث الدولة و إقامة مؤسسات ترضي جميع الفئات، و تعمل على ضبط الفلتان في الإدارة وغيرها: كمؤسسة مجلس الخدمة المدنية، و التفتيش المركزي ، و المجلس التأديبي العام....و عندما حاول الرئيس شارل حلو الخروج على قواعد العهد السابق بدأت الأزمات تترى في وجهه، و بدأ الصراع السياسي الطائفي يبرز من جديد، و كذلك حينما قضى الرئيس سليمان فرنجية على ما تبقى من العهد الشهابي، اندلعت الحرب الطائفية و بالتحديد في أواخر عهده أي ١٩٧٥م، لتأخذ طابعاً دموياً أشد شراسة من سابقاتها، و لتمتد إلى عام ١٩٩٠م.

و مهما قيل عن هذه الحروب، إلا أنه يبقى للنظام اللبناني الطائفي الدور الرئيس و العامل الأول في إضرامها و اشتعالها، و لذا نؤكد أن الحلول السياسية لهذه الحروب و الأزمات تبقى عرضة للفشل ما دامت لا تتعدى في إطارها العام على قواعد و مبادىء النظام الطائفي. و هنا يبرز السؤال التالي: هل التزم اتفاق الطائف بالحل الطائفي؟ و هل نص هذا الميثاق على إلغاء الطائفية السياسية؟

الطائفية في ميثاق الطائف:

وثيقة الوفاق الوطني، في معالجتها للأزمة اللبنانية التي عصفت بالبلاد عام ١٩٧٥ م حتى عام ١٩٩٠م، لم تخرج على الحلول الطائفية السابقة، بل اكدتها و زادت عليها. ففي قسم "ي"، نفت وثيقة الوفاق الشرعية عن أية سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك، الذي لا يختلف في هدفه و مغزاه عن ميثاق ١٩٤٣م ذلك الميثاق الذي يؤكد على العرف السابق في توزيع المراكز الثلاثة الأولى في الدولة على الطوائف الثلاث الكبرى؛ المارونية و الشيعية و السنية، و الذي يؤكد أيضاً على مشاركة جميع الطوائف في حكم البلاد و عن طريق مساهمتها في مجلس الوزراء الذي أضحى صاحب السلطة التنفيذية، أو طريق تسلمها لمراكز سياسية و إدارية أخرى.

و في قسم الإصلاحات السياسية تقرر وثيقة الوفاق أن توزيع المقاعد النيابية يتم بالتساوي بين المسيحيين و المسلمين، و نسبياً بين طوائف كل من الفئتين، و نسبياً بين المناطق اللبنانية، كما تقرر أن تجري الانتخابات النيابية على وفق قانون انتخاب يراعي القواعد التي تضمن العيش المشترك بين اللبنانيين و تؤمن صحة التمثيل السياسي لشتى فئات الشعب و أجياله، و في نهاية هذا القسم نصت الوثيقة على توزيع وظائف الفئة الأولى و ما يعادل الفئة الأولى مناصفة بين المسيحيين و المسلمين، و من دون تخصيص أية وظيفة لأية طائفة.

و لا ريب بأن هذه النصوص التي تبقي على الطائفية في نظامنا السياسي، و التي جاءت في وثيقة الوفاق اصبحت مواد دستورية و جزءا من دستور الجمهورية اللبنانية الذي نعيش في ظله اليوم. كما أن الزعماء السياسيين الذين حكموا لبنان بعد الطائف، تخطوا هذا الدستور، و مارسوا الطائفية على كل المستويات، من أدنى فئات الموظفين إلى أعلاها، و وزعوا المدراء و الأجراء و الكتبة مناصفة بين المسيحيين و المسلمين، و تقاسموا التعيينات في المؤسسات و الإدارات حصصاً؛ ضاربين عرض الحائط بكل القوانين و المواثيق و الكفاءات، حتى بتنا نعيش في غابة من المذاهب و الطوائف حقيقة، و في صورة دولة فاسدة شكلاً و واقعا..

ميثاق الطائف و إلغاء الطائفية السياسية:

تحدث ميثاق الطائف صراحة عن إلغاء الطائفية السياسية في الفقرة "ز" من قسم الإصلاحات السياسية، تحت عنوان "إلغاء الطائفية السياسية"، فقال:"إلغاء الطائفية هدف وطني أساسي يقتضي العمل على تحقيقه وفق خطة مرحلية، و على مجلس النواب المنتخب على أساس المناصفة بين المسلمين و المسيحيين اتخاذ الإجراءات الملائمة

لتحقيق هذا الهدف و تشكيل هيئة وطنية برئاسة رئيس الجمهورية، تضم بالإضافة على رئيس مجلس النواب و رئيس مجلس الوزراء شخصيات سياسية و فكرية و اجتماعية، مهمة الهيئة دراسة و اقتراح الطرق الكفيلة بإلغاء الطائفية السياسية و تقديمها إلى مجلسي النواب و الوزراء و متابعة تنفيذ الخطة المرحلية".

و في الحقبة الانتقالية نص الميثاق على إلغاء قاعدة التمثيل الطائفي و اعتماد الكفاءة و الاختصاص في الوظائف العامة و القضاء و المؤسسات العسكرية و الأمنية و المؤسسات العامة المختلطة و المصالح المستقلة. كما نص على إلغاء ذكر الطائفة و المذهب في بطاقة الهوية.

والخطة المذكورة غير محددة المعالم و الأهداف و أن ميثاق الطائف لم يعين المدة الزمنية التي تحتاجها هذه الخطة لتصل الى نهايتها، كما لم يحدد المدة التي يستغرقها المجلس الجديد، الذي انتخب على اساس المناصفة، لاتخاذ الإجراءات الملائمة، و تشكيل الهيئة الوطنية، و لم يذكر شيئاً كذلك عن نوعية هذه الإجراءات الملائمة، و عن مدى التزام مجلسي النواب و الوزراء باقتراحات الهيئة الوطنية المشكلة. و بصورة عامة فإن الغموض و الإبهام يلفان هذه القضية في المواد التي نص عليها ميثاق الطائف، و كأن هذا الغموض و ذلك الإبهام قد حشرا حشراً، و ذلك لحساسية موضوع الطائفية و صعوبة إلغائها من جهة، و تعدد الآراء حولها من جهة ثانية. و عن الغاء الطائفية السياسية في وثيقة الوفاق تحدثت جريدة السفير في عددها ٦٣٦٢ الصادر في ١٦ كانون الأول ١٩٩٢م، عن مصادر نيابية موثوقة شاركت في اجتماع الطائف النيابي و في لجنة الصياغة لوثيقة الوفاق، بأن النواب المجتمعين في الطائف قد تناولوا موضوع إلغاء الطائفية السياسية باجتماعهم في "الهيئة العامة" باسلوب إنشائي غير عملي، و لم يتقدم أحد منهم باقتراح عملي للإلغاء باستثناء النائب جميل كبي الذي تقدم بمشروع مكتوب و مسجل في محاضر الجلسات، و لكن رئاسة المجلس و النواب أهملوه و لم يأخذوا به ،و اقتراح النائب كبي يتضمن خطة زمنية لإلغاء الطائفية السياسية ويمكن عرضها كما يلي: تلغى حكماً قاعدة مراعاة التوزيع الطائفي تدريجياً ابتداء من تاريخ بدء ولاية مجلس النواب المنتخب على وفق أحكام قانون الانتخاب الجديد و بعد انقضاء المهل التالية على هذا التاريخ:

ا- أربع سنوات بالنسبة لوظائف الفئة الأولى و ما يوازيها من الوظائف العامة في الإدارات العامة و القوات المسلحة و المؤسسات العامة، و سنة واحدة بالنسبة لسائر الوظائف الإدارية و العسكرية و خلافها.

ب- ثماني سنوات بالنسبة لتشكيل الحكومة، و يستثنى من ذلك رئيس مجلس الوزراء و نائب الرئيس.

ج- اثنتا عشرة سنة بالنسبة لانتخاب مجلس النواب،و يستثنى من ذلك رئيس مجلس النواب و نائب الرئيس.

د- خمس عشرة سنة بالنسبة لقاعدة تكريس طائفية الرئاسات الثلاث و نيابة رئاسة مجلس النواب و مجلس الوزراء.

هـ- لمجلس النواب و في اي وقت يشاء و بغالبية ثلاثة ارباع الأعضاء الذين يؤلفونه دستورياً، تقرير تقريب أو تأخير سريان موعد إلغاء اعتماد قاعدة التوزيع الطائفي و بالنسبة الى اي من المستويات المذكورة, و لا يجوز أن تتجاوز مدة التأخير في جميع الأحوال الأربع سنوات كحد أقصى.

و في الوقت الذي تتحدث فيه وثيقة الوفاق الوطني عن إلغاء الطائفية السياسية، و عن خطة زمنية لهذا الإلغاء، و عن هيئة وطنية يؤلفها مجلس النواب الجديد برئاسة رئيس الجمهورية، تنص الوثيقة في قسم الإصلاحات السياسية "فقرة ٧" على استحداث مجلس للشيوخ تتمثل به جميع العائلات الروحية،

النظام السِّياسي الطائفي



و تنحصر صلاحياته في القضايا المصيرية، و ذلك مع انتخاب أول مجلس نواب على أساس وطني لا طائفي. و هنا لا بد من إيراد السؤال التالي: هل من المصلحة الوطنية بعد الغاء الطائفية السياسية من مؤسسات الدولة و إداراتها، أن نشكل مجلساً تتمثل به كل العائلات الروحية؟ اليس هذا المجلس الذي ستتمثل به جميع العائلات الروحية في لبنان مجلساً طائفياً قلباً و قالباً؟ و اذا كان الجواب بالإيجاب، فلماذا نخرج الطائفية من جميع مؤسسات الدولة وإداراتها لندخلها و نجمعها في مؤسسة واحدة؟ اليس مجلس الشيوخ الذي ستنحصر صلاحياته في القضايا المصيرية، هو عقل الوطن الراجح و قلبه النابض و ضميره الحي؟، و اذا كان الأمر كذلك، و هو كذلك، فهل من الحكمة بمكان أن نجعل عقل الوطن الراجح عقلاً طائفياً، و قلبه النابض قلباً طائفياً، و ضميره الحي ضميراً طائفياً؟

إننا اذ نضع هذه الأسئلة أمام ممثلي الشعب و أمام مسؤوليه و مفكريه و قادته و زعمائه، لتكون مادة للحوار البناء الذي يوصلنا إلى السلامة و الأمان و ليس الى الفشل و الصراع من جديد. كما نضع أمام هؤلاء جميعاً مصير الوطن الذي ينخره الفساد و المحسوبية و تتهدده الأخطار من كل جانب سواء أكانت تقسيمية أم اقتصادية أم أمنية أم سياسية أم اجتماعية أم بيئية أو ما شابه ذلك.

المراجع و المصادر:

١-كمال صليبي: تاريخ لبنان الحديث،ط٤،بيروت ١٩٧٨.

٢-لحد خاطر،عهد المتصرفين في لبنان،بيروت ١٩٦٧.

٣-بشارة الخوري: حقائق لبنانية،بيروت ١٩٦٠.

٤-أميل البستاني:الميثاق الوطني و لبنان المستقل.

البقية تستكمل لاحقاً ان شاء الله

أمهات القيم السياسية في القرآن والسنة



محمد بن المختار الشنقيطي
أستاذ الأخلاق السياسية
مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق
كلية قطر للدراسات الاسلامية

هذا المقال هو باكورة سلسة مقالات شهرية خاصة بموقع مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، نتناول فيها القيم السياسية الكبرى في الإسلام، ونكشف عن مدلول تلك القيم في وضعها الشرعي، وما شابها من شوائب التاريخ، ومن سوء التأويل والتطبيق على مدى القرون. على أن نبدأ الحديث عن كل قيمة بتحرير معناها في الكتاب والسنة، ثم توصيف الضمور الذي عانت منه في فكر المسلمين وواقعهم. ولسنا نمنح آراء فقهاء السياسة الشرعية والآداب السلطانية سلطة فائضة في هذا المضمار، بل نرى أن الثقة المفرطة في الشرح تحجب عن المتن، وأن سلطة التراث السياسي إذا بولغ فيها تصبح حاجزا بين الناس وبين معاني القيم السياسية الإسلامية كما وردت غضة في الوحي. فالغاية هنا ليست تاريخ الأفكار، بل نفض الغبار عن القيم السياسية الإسلامية، وإرجاع النبض إليها في العقول والأفئدة، لتكون معالم هادية لحياة المسلمين السياسية.

ومن القيم التي سنتناولها -بإذن الله- في هذه السلسلة: "القيام بالقسط" و"الشورى" و"المشاورة" و"الأمانة" و"القوة" و"النصح" و"الطاعة" و"النصرة" و"المدافعة" و"الإجماع" و"مال الله".. كما سنتناول معايير الكفاءة السياسية في القرآن والسنة، ومناهج التغيير السياسي في الإسلام... وغير ذلك من معان جليلة، جاء بها الإسلام لتنظيم الشأن العام، وضيَّعها المسلمون فضاعوا، بعد أن ضمُرت في حياتهم، وانحسرت دلالاتها، وإنطمرت معانيها في ركام الجدالات الصورية والتكيفات الفقهية والخلافات اللفظية.

لقد أدرك عددٌ من علماء الإسلام ووُعاتِه المعاصرين، أن القيم السياسية الإسلامية لم يسمح لها السياق التاريخي الامبراطوري بالحياة والتفتق. ومن هؤلاء الفيلسوف الشاعر محمد إقبال الذي لاحظ أن القيم السياسية الإسلامية "بقيت أجنَّة" إذ لم تجد سياقا مناسبا للنمو الطبيعي، ومنهم الفقيه الدستوري عبد الرزاق السنهوري الذي توصَّل إلى أن الفكر السياسي الإسلامي لم يتجاوز "مرحلة الطفولة" إلى اليوم. ومنهم مالك بن نبي الذي لاحظ أن الحضارة الإسلامية في شقها السياسي "لم تنشأ عن مبادئ الإسلام، بل إن هذه المبادئ هي التي توافقت مع سلطة زمنية قاهرة." ويمكن إرجاع هذا الضمور إلى أسباب عدة، نذكر منها:

١. جدلية الاكتساب والاستيعاب: فقد كان مستوى اكتساب المنضوين إلى الإسلام أيام الفتوح أوسع من مستوى استيعابهم في الأطر المنظِّمة لمجتمع المؤمنين: فقد كان الإسلام أوسع من الإيمان.

٢. انهيار الخلافة الراشدة، وما نتج عنه من تحويل وجهة التدين وحصره في الشؤون الفردية بعدما انهار نظام الجماعة. فالواقع المنحرف له أثره السيئ بالفكر لا محالة.

٣. ضغط السياق الامبراطوري العالمي على الروح الإسلامية، فالقيم السياسية الإسلامية يصعب تطبيقها في عالم الامبراطوريات العسكرية الذي كان سائدا، فانهارت الخلافة الراشدة كما انهارت جمهوريات روما وأثينا من قبلُ تحت ضغط الوطأة الامبراطورية.

٤. التأثر الزائد بالمواريث السياسية غير الإسلامية، من ساسانية ويونانية ورومانية، على حساب الاستمداد من الوحي القرآني والسنة النبوية في مجال السياسة والحكمة العملية.

٥. فقدان العقل المسلم مرونته العملية بعد قرون من الانحطاط، فتحول العديد من المبادئ الإسلامية إلى أفكار نظرية مجردة: قد تُساقُ للتمدُّح بجلال الرسالة الإسلامية، لكنها لا تُتَّخذ قاعدة منهجية هادية للعمل.

٦. الجفاء الذي ساد بين أهل القرآن وأهل السلطان نتيجة سيادة الظلم السياسي، مما دفع الفقهاء إلى الإعراض عن هذه الجوانب من فقه التدين والزهد فيها.

بيد أن هذه النظرة المتشائمة تجاه الإصلاح السياسي لم تعد مستساغة في عصرنا الحاضر، حيث تعيش الأمة اليوم تحولا سياسيا، وسعيا للخروج من أزمتها السياسية المضنية، التي ألقت بظلالها القاتمة على واقع الشعوب الإسلامية ودورها في الحضارة الإنسانية، وعلى مستقبل الإسلام رسالة ربانية هادية يحتاجها البشر حاجتهم إلى الماء والهواء.

إن لكل حضارة أزمتها، وأزمة الحضارة الإسلامية أزمة دستورية في جوهرها. وقد أدرك الشهرستاني ذلك فعبر عنه بالقول: "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان."[١] وهي أزمة بدأت ليلة السقيفة، وتغلَّب عليها الجيل الأول من المسلمين جزئيا حوالي ربع قرن من الزمان، لكنها انفجرت مدوِّيةً في نهاية خلافة عثمان وطيلة خلافة علي، واستحالت حربا أهلية طاحنة بين معسكر العراق بقيادة علي ومعسكر الشام بقيادة معاوية. وقد كانت معركة ليلة الهرير بـ"صفين" قمة التعبير التراجيدي عن تلك الحرب الأهلية، حيث كان "آخر أمرهم ليلة الهرير، وهو الصوت شبه النباح: فَنِيتْ نبالهم، واندقَّتْ رماحهم، وانقصفتْ سيوفهم، ومشى بعضهم إلى بعض، وتضاربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، والحديد في الهام، فلما صارت السيوف كالمناجل تراموا بالحجارة، ثم جثوا على الركب فتحاثَوْا بالتراب، ثم تكادموا بالأفواه، وكُسِفتْ الشمس من الغبار، وسقطت الألوية والرايات، واقتتلوا من بعد صلاة الصبح إلى نصف الليل."[٢]

وليست ثورات القرن الأول الهجري إلا امتدادا لحرب صفِّين، وتعبيرا عن الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية. ومن هذه الثورات ثورة الحسين بن علي الذي هبَّ "غضبا للدين وقياما بالحق" حسب تعبير القاضي أبي بكر بن العربي[٣] وانتهت ثورته بفاجعة كربلاء، وثورة أهل المدينة ضد يزيد، وقد "قاموا لله" حسب تعبير الحافظ الذهبي[٤] وانتهتْ ثورتهم بسيطرة يزيد على المدينة المنورة. وثورة عبد الله بن الزبير في مكة، وثورة التوابين بقيادة الصحابي سليمان بن صُرد، وثورة الفقهاء بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث. ثم ما تلى ذلك من ثورات أشعلها الخوارج وغيرهم طيلة الدولة الأموية.

وعلى الرغم من أن الإسلام حمل رسالة كونية وألحَّ على أخوَّة الإيمان منذ البداية، فإن السياق الاجتماعي والثقافي في الجزيرة العربية –حيث ظهر الإسلام أول ما ظهر- لم يكن سياقا توحيديا، لا بالمعنى الاعتقادي ولا بالمعنى الاجتماعي. فالعصبيات القبلية السائدة في الجزيرة العربية آنذاك كانت تتأبَّى على أي تعريف كوني للرابطة الإيمانية أو الإنسانية. ثم أضافت الفتوح الإسلامية السريعة تعقيدا جديدا إلى تلك المشكلات البنيوية. وقد لاحظ الفيلسوف محمد إقبال أن ما كسبه الإسلام في الفتوح الأولى من الامتداد كان خسارة له في العمق، فكتب يقول: "إنني أعتبر من الخسارة الكبرى أن يُوقِف تقدمُ الإسلام كدين فاتح نموَّ أجنة التنظيم الاجتماعي والديمقراطي والاقتصادي التي أجدها مبثوثة في صفحات القرآن وفي سنة النبي [صلى الله عليه

---

١ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل (مؤسسة الحلبي)، ٢٢/١.

٢ عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٦)، ٢١١/١.

٣ أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧)، ص ٢٣٧.

٤ شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، ٣٧/٤.

وسلم]."[1]

لقد تشبث العديد من المسلمين بأعرافهم الاجتماعية والسياسية ذات الجذور الضاربة في تاريخهم الثقافي، ولم يتخلوا قط عن ذاكرتهم الدينية والتاريخية. وخلال العقود التالية لوفاة النبي صلى الله عليه توسعت الجماعة المسلمة التي أسسها لتشمل عددا وافرا من الأمم والثقافات، من دون أن تكون تلك الجماعة الأولى قادرة على استيعاب الوافدين الجدد في بنيتها السياسية، أو نسيجها الاجتماعي. ويصدق هذا الأمر -أكثر ما يصدق- على العراق والشام، مهد أولى الامبراطوريات الإسلامية الكبرى. فكلا البلدين كان مهد حضارات عتيقة، وما كان من الممكن تفادي الصراع بين النظام الجديد الذي قدمه الإسلام وبين التقاليد الاجتماعية والأعراف الثقافية العتيقة، ولا تجنب الصراع فيما بين تلك التقاليد والأعراف العتيقة ذاتها.

ثم انضاف إلى تلك التصدعات الكامنة انشطار مبكر في الجماعة المسلمة الأولى حول موضوع الشرعية السياسية. لقد بدأ الشقاق السياسي داخل تلك الجماعة الوليدة في اليوم ذاته الذي توفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الشقاق التي سيتحول في العقود والقرون اللاحقة إلى انشطار اعتقادي.

ومهما يكن من أمر القيم المعطَّلة مهما كان يكن جلالها لا يمكن أن تنافس القيم المفعَّلة مهما يعتريها من ضعف في بنيتها الأخلاقية أو في تماسكها المنطقي. والقيم السياسية الإسلامية قيم موؤودة ومغدورة منذ قرون متطاولة. ولا أمل للمسلمين في النهوض من كبوتهم التي طال أمدُها، ولا من الفوضى السياسية الضاربة بأطنابها على مجتمعاتهم اليوم، إلا بتفعيل هذه القيم السياسية الإسلامية الجليلة، ونفض غبار التاريخ عنها.. وذاك ما سنسعى إلى الإسهام فيه من خلال هذه المقالات، والله الموفق لكل خير لا شريك له.

---

١ نقل كلام إقبال مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١)، ٢٢٨.

الأمين إذا تكلم



الأستاذ فهمي هويدي
كاتب ومفكر إسلامي مصري

لم يفاجئنا السيد أحمد أبو الغيط حين وصف الربيع العربي باعتباره «مؤامرة»، ولم ير فيه إلا ما حل ببعض الأقطار من خراب وفوضى.

ذلك أن مسؤولا بمواصفاته وتاريخه لا يستغرب منه مثل ذلك الكلام.

إذ من المفهوم أن يرى وزير خارجية مبارك لمدة سبع سنوات أن ثورة ٢٥ يناير جزءا من مؤامرة.

وحين يكون الرجل صديقا للإسرائيليين ومعاديا للفلسطينيين وفخورا بإفشاله دعوة انعقاد القمة العربية لوقف العدوان الوحشي الإسرائيلي على غزة فإن خصومته للربيع العربي تصبح مبررة.

لكن المشكلة أن يصدر هذا الكلام عن الأمين العام لجامعة الدول العربية.

وهى صفة كانت تفرض عليه أن يكون أكثر حذرا واحتشاما في الحديث عن رياح التغيير التي هبت على العالم العربي في عام ٢٠١١ معبرة عن شوق العرب إلى الحرية والعدل.

صحيح أن الجامعة العربية تمثل الأنظمة وليس الشعوب العربية،

وهي الآن في أضعف وأتعس حالاتها، وأن الرجل يجسد تلك الحالة،

الأمر الذي يجعله الرجل المناسب في الظرف المناسب،

إلا أن ثمة حدودا للوهن والسقوط.

ولو تمتع الرجل ببعض الكياسة وحسن التقدير لاستخدم لباقة الدبلوماسيين التي يفترض أنه تعلمها في التعبير عن رأيه.

إذ ليس مطلوبا منه أن يمتدح الربيع العربي وربما قبل منه أن ينتقد تداعياته أو يحذر من تفاقمها.

لكن انحيازه الصريح إلى الثورة المضادة وتعبيره الجارح عن إدانة انتفاضة الشعوب العربية لا يهين

المشاعر العربية فحسب، ولكنه يهين المنصب الذي يشغله باعتباره أمينا للجامعة.

حتى إذا كان الرجل مناسبا لمرحلة الانكسار وانهيار النظام العربي،

وأصبح رمزا للسقوط الذي صرنا إليه،

فليس مفهوما أن يبالغ في ذلك وأن يصل به إلى القاع بحيث يخاطبنا من منتهاه.

ولئن عمت البلوى وصار السقوط واقعا يتعين علينا أن نعترف به ونتعامل معه حتى إشعار آخر، فما تمنينا أن يكون خطابه من قاع السقوط،

وما توقعنا أن يعبر أمين الجامعة العربية عن ذلك الخطاب حفاظا على ما تبقى من رمزية الجامعة واحتراما لمنصب الأمين العام.

أدري أن الأوصاف التي أطلقها السيد أبو الغيط في حواره الذي بثته قناة «سى. بى. سى» مساء الأحد الماضي ٧/١٧ استخدمها آخرون من قبل،

حيث لم يكن أول من وصف الربيع العربي بأنه «مؤامرة»،

إلا أن ذلك الوصف جاء على ألسنة خصوم وموتورين وآخرين من المنافقين والمهرجين وغير ذوى الصفة.

وما تمنينا أن يجور علينا الزمان ويتردى بنا الحال بحيث يصطف أمين الجامعة العربية إلى جانب هؤلاء أكرر أنني لا أحسن الظن بالرجل وليس لدي دفاع عنه، لكنني انطلق من الغيرة على المنصب وأتعلق بشعرة تبقي على شيء من الكرامة للجامعة العربية.

إذا أردنا أن نوسع دائرة المصارحة فإننا لا ينبغي أن نكتفي باستهجان ما صدر عن السيد أبو الغيط، لأن زملاءه الذين عملوا معه ويحفظونه جيدا يقولون إنه ما كان له أن يتحدث بتلك الجرأة إلا إذا كان مطمئنا إلى أن هناك من يسانده ويدعمه.

ولأنني سمعت ذلك الرأي من أكثر من واحد، فالسؤال الذي تثيره الملاحظة هو:

ما هي الجهات التي عبر السيد أبو الغيط عن رأيها فيما جهر به؟

الإجابة سهلة ولا تكلف الباحث أكثر من متابعة بعض التصريحات الرسمية والاتصالات لبعض الأصوات التي تتردد في المنابر الإعلامية المقروءة والمرئية والمسموعة.

وهى ذات الأصوات التي تتحرك ضمن معسكر الثورة المضادة، الذي ظننا أنه مخاصم فقط للحلم العربي، لكن اكتشفنا بمضي الوقت ما هو أنكى وأمر، إذ تبين لنا أنه متصالح أيضا مع إسرائيل!

يغنينا عن التفصيل في الإجابة عن السؤال عما إذا كان الربيع العربي مؤامرة أم لا، أن نتعرف على السائل بهويته وخلفياته.

إذ حين تسقط ثورة ٢٥ يناير نظام مبارك، فمن الطبيعي أن يعتبر وزراؤه أن ما حدث كان مؤامرة ـ بالمناسبة فقد كان مدهشا في حوار السيد أبو الغيط إشارته إلى أن النظام المصري كان ينبغي أن يتغير لأن مبارك حينذاك كان قد بلغ عامه الثالث بعد الثمانين ـ

من ثم فإنه لم يذكر في حقه سوى أنه كبر في السن.

أما جرائمه طوال ثلاثين عاما، التي تمثلت في الفساد والاستبداد وتزوير الانتخابات ونهب ثروات البلد التي أدانه فيها القضاء، ذلك كله سقط من ذاكرة «الأمين» الهمام، ولم ير فيه ما يشين الرجل ونظامه.

حين يكتب التاريخ بنزاهة يوما ما سيعرف الناس ما يهمس به بعضهم ولا يجرؤ على إعلانه لأسباب مفهومة، من أن التآمر الحقيقي قامت به أطراف محلية وإقليمية.

وهو ما يسوغ لنا أن نقول بأن الربيع العربي كان ضحية للتآمر ولم يكن سببا فيه. أما مظاهر الخراب والفوضى فلها أسباب أخرى على رأسها الاستبداد ومخلفاته، والربيع العربي بريء منها، بل لعله كان العلاج الحقيقي لها.



أحمد أبو الغيط

الذاكرة الجمعية ... الحارس على السلم الأهلي



بقلم: الأستاذ يوسف الورداني
كاتب من لبنان

الذاكرة الفردية و الذاكرة الجمعية حارس حافظ للسلم الأهلي، و في الوقت نفسه رقيب عليها، فهو يبعد الذكرى المزعجة عن الوعي من دون أن يمحوها من الوجود، و له قدرة على تنظيم محتوى الذكريات، و إعادة ترتيبه لحمايتنا مما يؤذي و يدمر، و على الرغم من ذلك فإن أحداث الماضي تلعب معنا أحياناً لعبة خبيثة لا نفلت منها إلا بجهد كبير، ذلك أن الذاكرة المجروحة و المكبوتة غالباً ما تؤدي إلى الغلو في ردات الفعل على أحداث الحاضر.

و التاريخ لا يعيد نفسه إلا لدى الشعوب المتخلفة التي لا تتعلم من التاريخ بل تقيم دائماً فيه، و توصيف ما جرى في لبنان بين عامي ١٩٧٥م - ١٩٩٠م بالغ الأهمية، في سبيل بناء ذاكرة جمعية مشتركة للأجيال الجديدة، فما حصل في لبنان لم تكن حرباً أهلية لبنانية إلا في جزء منها، و الباقي كانت حروب الآخرين، و بالتالي صار لبنان ساحة صراع داخلية إقليمية و دولية، فما هي ضوابط السلم الأهلي في لبنان؟

١-القانون و المرجعيات الدستورية:

فالمؤسسات هي المكان الدائم للحوار و الضامن لمعالجة النزاعات سلمياً، و كل تقصير أو تقاعس من الحكومة و النواب في ممارسة مسؤولياتهم داخل هذه المؤسسات كالتصويت و التقرير يهدد السلم الأهلي، خاصة و أن الحوار الوطني الكياني انتهى في لبنان بموجب وثيقة الوفاق الوطني -الطائف-.

و الدولة هي الحامية و الضامنة للسلم الأهلي و حقوق المواطنين، و الدولة وحدها تحتكر القوة المنظمة، و كل تسلح خارج الدولة يهدد السيادة و دور لبنان و رسالته، فلا ينتظم أي تعديل دستوري، و لا سلم أهلي ثابت، في حال عدم توفر قاعدتين أساسيتين للدولة هما: حصرية العلاقات الخارجية، و احتكار الدولة وحدها للقوى المنظمة من جيش و قوى أمنية.

٢-الذاكرة الجمعية:

إنها الرادع تجاه عملية التكرار، فالإنقسام بين اللبنانيين قياديين و مواطنين هو بين من تعلم من الحروب، و من لم يتعلم لأن ما حصل عام ١٨٦٠م، هو نفسه تقريباً ما حصل عام ١٩٧٥م مع تغير الأسماء و المعطيات، و اليابانيون لا يتذكرون قنبلة هيروشيما، مطلقين خطابات حاقدة ضد أميركا، بل يتذكرونها بالتوبة كي لا تتكرر.

و في لبنان لدينا فجوة بين التاريخ المكتوب، و بين الذاكرة المعاشة، و التاريخ يدرسه الطالب و يفرغه في مسابقة بينما تتكون ذاكرته في المنزل و المحيط و الحزب و تلك هوة لا بد من ردمها.

٣-ثقافة الحذر في العلاقات الخارجية:

لبنان كبير في رسالته، لكنه صغير في لعبة الأمم، و الحاجة إلى العدول عن الاستقواء الداخلي و التحول من ساحة إلى وطن، إذ يصبح لبنان وطناً عندما نقفل الأبواب و النوافذ على الخارج، و نكتسب ثقافة الحذر من الأشقاء و الأصدقاء، لأنهم أوغلوا في التدخل في شؤوننا برضا منا فانشد كل فريق إلى دولة إقليمية أو دولية.

و منذ اختراع السلاح النووي، توقفت النزاعات المسلحة الكبيرة بين الدول، باستثناء المعارك الحدودية، فباتت الحروب تنتهي بسرعة و ليس فيها منتصر بل ضحايا، و بالتالي أصبحت هذه الحروب اليوم تحصل بالوكالة، و الساحات العربية

الملتهبة خير دليل ليكون الصراع فيها معقداً، ربما لأنها منطقة يتم فيها توارث الكذب و الخيانة جيلاً بعد جيل.

و السؤال هل يحتاج اللبنانيون إلى مزيد من الحروب و الإرهاب الذي يحصد الجميع، في حقب مختلفة و حسب الظروف الإقليمية، لكي يدركوا كلهم مدى الخطر الذي يهددهم؟
و إذا كان العجز الداخلي قد بدا واضحاً، من عدم القدرة على الاقتراب من نقطة توافق، فقد ظهر تأثير الخارج على أنه لاعب أساسي في الساحة اللبنانية، إن بصيغة تدخل خاص لهذا الفريق أو ذاك، و إن بصيغة ولي جبري أو مختار، و ربما بصيغة فرض إرثي في تركة يعلن عن إحيائها من جديد.
فالمطلوب اليوم أن تقر الطبقة السياسية الحاكمة بأن الولوج إلى مشروع حماية السلم الأهلي يجب أن يرتكز في المسلمات التالية:

١-أن تكون لدى الجميع قناعة ثابتة، بأن أي فريق مهما كبر حجمه السياسي لا يمكنه أن يلغي فريقاً آخر و الجميع محكومون بالعيش تحت مظلة وطنية جامعة.

٢-إن الحلول الإكراهية التي تفرضها معطيات اللحظة السائدة بفعل موازين قوى تسود في لحظة ما، إنما تؤسس لأزمات تنفجر حكماً في وقت لاحق، و أي تعديل في هذه الموازين قد يعيد الأمور إلى مربعها الأول.

٣-إن الانتماء للوطن يجب أن يتقدم على أي انتماء آخر، و هذا الوعي يجعل المؤسسات الوطنية هي المرجعية الشرعية الوحيدة لإدارة شؤون البلاد سياسياً و اجتماعياً و أمنياً.

٤-إن قوة أي فريق لا تقاس بما يحوز عليه من أسلحة، لأن السلاح وظيفة ظرفية، و من لا يمتلكه اليوم لا يصعب عليه امتلاكه، و بالتالي لا يمكن أن يكون السلاح عنصراً حاسماً في ظل وضع مركب كالوضع اللبناني، لأن قلاع الطائفية و المذهبية -لسبب أو لآخر- كانت و ستبقى عصية على السلاح خاصة إذا كانت حاضنة السلاح بيئة طائفية أو مذهبية، تابعة لهذا الفريق أو ذاك.

تذكر أن الحرب ليس مهمة شاقة، إذ هي ماثلة أمامنا في محطات كثيرة تقترب من الانفجار، لكن المصالحة مع الذات هي المنطلق الوحيد للوصول إلى مصالحة مع الآخر. لا بد من المصالحة مع كل التاريخ، لأن الحقد يعبد إنتاج الحقد و يمكن تجاوز ذلك بتنقية الذاكرة و تعميم التوبة الوطنية.



هيلين كيلر ... يا سبحان الله !!



هيلين كيلر (بالإنجليزية: Helen Adams Keller)، من (مواليد ٢٧ يونيو ١٨٨٠ - ١ يونيو ١٩٦٨). أديبة ومحاضرة وناشطة أمريكية، وقد عانت هيلين من المرض في سن اثنى عشر شهراً بعد ولادتها ، مما أدى إلى فقدانها السمع والبصر تماماً و عدم القدرة على الكلام . وعندما بلغت سن السابعة قرر والداها إيجاد معلم خاص لها. و بوساطة مدير مدرسة بيركنزا للمتفوقين ، تم ارسال المعلمة المتخصصة سوليفيان، لتشرف على تربية و تعليم هيلين، وقد استطاعت سوليفيان تعليم هيلين بواسطة لمس يديها، فعلمتها الحروف و اللغة و الاشياء المادية و المعنوية ، بالرسم على يد هيلين بصورة مبتكرة لم تكن معروفة لأحد من قبل، و ذهبت مع هيلين الى المدرسة، و كانت تجلس بجانبها و تلمس يد هيلين وتوصل لها مواد الدروس باشارات خاصة فيما بينها و هيلين ، حتى انهت هيلين التعليم الثانوي، ثم التحقت بكلية رادكليف وحصلت على شهادة البكالوريوس بدرجة امتياز. وعاشت كيلر بعد ذلك مع معلمتها سوليفيان بشكل دائم حتى وفاة المعلمة سوليفيان ، التي صارت خسارة لا تعوض بالنسبة لهيلين، و لكنها لم تستسلم و اتفقت مع معلمة جديدة هي بولي تومسون، و صارت هيلين هي التي تعلم المعلمة الجديدة كيف تتفاهم واياها، حتى تمكنت المعلمة من لغة هيلين. وفي عام ١٩٠٥م انضمت هيلين كيلر إلى الحزب الاشتراكى. وأصبحت ناشطة بارزة وامرأة تساهم في الاعمال الخيرية، وعضوا فاعلا في الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية. و على الرغم من عوقها الشديد فهي لا ترى و لا تسمع، و لا تستطيع النطق و لا الكلام، إلا انها طافت في انحاء العالم برفقة معلمتها سوليفيان، والقت محاضرات في العديد من الجامعات المشهورة في دول عديدة، فكانت هيلين باللمس تتكلم مباشرة الى معلمتها، وهذه تترجم ما تريد هيلين، ثم تخاطب المستمعين و تبلغهم ما تريد قوله هيلين، و تقديرا لها منحت هيلين كيلر جائزة ليندون جونسون، وهو وسام الرئاسة الامريكية للحرية، هذا و قد منحت أكثر من دكتوراه فخرية من عدة جامعات، كما منحتها الحكومة اللبنانية وسام الاستحقاق الخاص باحتفال اقيم في بيروت، حيث القت محاضرات بصحبة مترجمتها الجديدة بعد وفاة معلمتها الاولى سوليفيان، ففي صبيحة التاسع والعشرين من نيسان ١٩٥٢م، وقفت هيلين ابنة الثانية والسبعين - مع مترجمتها ورفيقتها الثانية بولي تومسون - تلقي المحاضرة ، "فأسَرَت على الفور" قلوب المئات من الطالبات وأفراد الهيئة التعليمية في كلية بيروت للبنات، الذين احتشدوا لسماع ما "تقوله" سيدة عظيمة انتصرت على الإعاقة الثلاثية. وكانت كيلر تتلقى أسئلة الطالبات عبر قراءة شفتَيّ المترجمة باللمس، وتردّ عليها بصوت "مس تومسون". فكانت هيلين باللمس تتكلم مباشرة الى معلمتها و هذه تترجم ما تريد هيلين، ثم تخاطب المستمعين و تبلغهم ما تريد قوله هيلين . و منذ عام ١٩٨٠م يحتفل في امريكا سنويا في ٢٧ من الشهر السادس بعيد ميلاد هيلين كيلر بناء على مرسوم صدر عن الرئيس الامريكي جيمس كارتر .

مؤلفاتها

ومما هو جدير بالاعجاب ان هيلن كيلر الفت ونشرت ثمانية عشر كتاباً، ومن أشهر مؤلفاتها: العالم الذي أعيش فيه، أغنية الجدار الحجري، الخروج من الظلام، الحب والسلام، وهيلن كيلر في اسكتلندا. وترجمت كتبها إلى خمسين لغة. وألفت هيلين كتاب "أضواء في ظلامي" وكتاب "قصة حياتي" في ٢٣ فصلا و١٣٢ صفحة في ١٩٠٢، وكانت وفاتها عام ١٩٦٨م عن ثمانية وثمانين عاماً. ومن عباراتها الشهيرة:

(عندما يُغلق باب السعادة، يُفتح آخر، ولكن في كثير من الأحيان ننظر طويلا إلى الأبواب المغلقة بحيث لا نرى الأبواب التي فُتحت لنا) ومما قالته أيضا : (الحياة اما مغامرة جريئة و اما لا شيء)، فسبحان الله العلي القدير.



بدنا نعيش ع ضـــو
الضو بدو إنتـــاج ...

شركة كهرباء زحلة

يمكنك الآن متابعة مجلة أزاهر الإلكترونية على
www.azahermag.com



شهرية | مجانية | شاملة







اللغات التي تنشر بها: العربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية

عدد الإصدارات لتاريخه: أكثر من ٧٠٠٠ عنوان كتاب

عدد الإصدارات السنوية: أكثر من ٣٥٠ عنوان كتاب جديد

هاتف: 12 / 11 / 804810 5 961+ - فاكس: 804813 5 961+
ص.ب: 9424 - 11 بيروت - لبنان رياض الصلح - بيروت 2290 1107
e-mail: sales@al-ilmiyah.com - info@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban